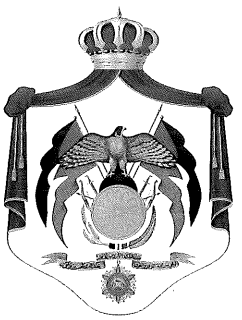

المملكة الأردنية الهاشمية

حولية دائرة الآثار العامة

المجلد (٥٧)

عمّان
٢٠١٣

حولية دائرة الآثار العامة

تصدر عن دائرة الآثار العامة، ص.ب. ٨٨، عمان ١١١١٨ - المملكة الأردنية الهاشمية

رئيس التحرير
الدكتور منذر جمحاوي

هيئة التحرير
جهاد هارون
أروى مساعدة
هنادي الطاهر
أسـامة عيـد

قام بمراجعة النصوص الانجليزية
د. ألكسندر واس

الاشتراك السنوي:
٢٠ ديناراً أردنياً (داخل المملكة الأردنية الهاشمية).
٣٠ دولاراً أمريكياً (خارج المملكة) بالإضافة إلى أجور البريد.

الآراء المطروحة في المقالات لا تمثل رأي دائرة الآثار العامة بالضرورة

تقبل المقالات حتى ٣١ أيار (مايو) من كل عام حسب التعليمات الواردة في هذا المجلد وتُرسل على العنوان التالي:

حولية دائرة الآثار العامة
ص.ب: ٨٨
عمان ١١١١٨- الأردن
فاكس: ٤٦١٥٨٤٨-٦-٩٦٢+

تعليمات نشر البحوث في حولية دائرة الآثار العامة

تعنى حولية دائرة الآثار العامة بالبحوث المختصة بالتراث الحضاري للأردن والمناطق المجاورة، بما في ذلك تقارير التنقيبات الأثرية ونتائجها.

ترسل البحوث في موعد أقصاه ٣١ أيار (مايو) من كل عام للنشر في مجلد العام نفسه إلى العنوان التالي: حولية دائرة الآثار العامة، ص.ب ٨٨ عمان ١١١١٨ الأردن، هاتف (٤٦٤٤٣٣٦).

ويمكن الاستفسار عن طريق الفاكس رقم (٩٦٢ ٦ ٤٦٥١٥٨٤٨+)، أو البريد الإلكتروني: (publication@doa.gov.jo).

لغة البحث

العربية أو الإنجليزية.

مسودات البحث

يجب ألا تتجاوز مسودة البحث ١٥,٠٠٠ كلمة (٣٠ صفحة تقريباً ولا يشمل هذا قائمة المراجع، والمواد التوضيحية (الأشكال)، ويرجى تضمين اسم الباحث (أو الباحثين) وعنوانه في نهاية المسودة، ويكون ترتيبها كالآتي:

١- عنوان البحث واسم الباحث (الباحثين).

٢- النص الكامل للبحث.

عنوان الباحث (الباحثين).

قائمة المراجع.

الهوامش إن وجدت.

قائمة شروحات الأشكال.

تسليم النصوص

يُسلم النص على قرص حاسوب، إضافة إلى نسخة مطبوعة يكون تباعد الأسطر فيها مزدوجاً، والرجاء إضافة نسخة محفوظة على شكل Rich Text Format على قرص الحاسوب. كما يجب أن تكون المسودة بشكلها النهائي دون إجراء تغييرات كبيرة لاحقاً.

الصور والرسومات والمخططات

يجب أن ترفق مع النسخة الأصلية عند التقديم. ويجب الإشارة إلى جميع المواد التوضيحية سواء كانت صوراً أم رسومات أم مخططات، باستخدام مصطلح (الشكل) في متن النص، وترقيمها حسب تسلسل ورودها في النص (الشكل ١، الشكل ٢، ... إلخ). ويجب ألّا تزيد أبعاد الشكل عن ١٧ × ٢٢ سم، حيث تكون حجومها 250 pixels/in للصور الفوتوغرافية، و600 pixels/in للرسومات والمخططات، وبالإمكان تقديم الشكل إلكترونياً بصيغة (jpg)، ولا تقبل الأشكال المحمّلة على برنامج Word.

الهوامش

يفضل الابتعاد عن الهوامش قدر الإمكان، وتوضع مصادر البيبلوغرافيا بين قوسين ضمن المتن، مثلاً: (الفلاحات ٢٠٠١: ٦٥-٦٧) أو (Brown 1989: 32-35) للمراجع الأجنبية.

قائمة المراجع

يجب أن تكون ضمن جدول في نهاية البحث وحسب التسلسل الأبجدي، واتباع النموذج الآتي:

١- في حالة المقالات المنشورة في دوريات:

النوافلة، سامي

٢٠٠٠ تقرير عن حفرية الجي (جايا) في وادي موسى / ١٩٩١. **حولية دائرة الآثار العامة** ٤٤: ٤٢-٧١.

Zayadine, F. and Farés - Drappeau, S.

1998 Two North - Arabian inscriptions from the Temple of Lat at Wadi Iram. *ADAJ* 42: 255-258.

٢- في حالات المقالات المنشورة في مجلدات:

الدوري، عبد العزيز

٢٠٠١ فترات التاريخ العربي، نظرة شاملة. ص ٤٣-٥٩ في **أبحاث ودراسات في التاريخ العربي**، مهداة إلى ذكرى مصطفى الحياري ١٩٣٦-١٩٩٨. تحرير صالح الحمارنة. عمان، الجامعة الأردنية.

Gabel, H.G.K. and Bienert, H.D

1997 Ba'ja: A LPPNB Regional Center Hidden in the Mountains North of Petra, Southern Jordan, Results from the 1997 Investigations. Pp. 221-262 in H.G.K. Gebel, Z. Kafafi and G. O. Rollefson (eds.) *The Prehistory of Jordan II*. Perspectives from 1997. Berlin: ex oriente.

٣- في حالة الكتب:

عباس، إحسان

١٩٩٠ **تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي**، ٦٠٠-٦٦١. عمان: لجنة تاريخ بلاد الشام.

Peacock, D.P. S.

1988 *Pottery in the Roman World: An Ethnoarchaeological Approach*. London and New York: Longman.

الملكية الفكرية

من حق الباحث (الباحثين).

الفهرس

مدفن ظهر السرو الروماني ٧
رافع حراحشة

عمان البلقاء في نهاية الفترة المملوكية وبداية الفترة العثمانية، في ضوء أعمال التنقيب لموقع أم زويتينة ١٥
باسم المحاميد وهنادي الطاهر

الأنباط والبترا في المصادر العربية ٢١
أحمد لاش

مدفن ظهر السرو الروماني

د. رافع حراحشة[1]

يقع المدفن في حي ظهر السرو إلى الغرب من سور جرش الأثري بحوالي ٥٠٠ م، وقد عثر علية أثناء قيام احد المواطنين بأعمال حفر وتجريف من أجل البناء حيث قام صاحب العمل بإبلاغ مديرية آثار جرش وتبين بعد الكشف على الفتحة التي ظهرت أثناء العمل أنها تقع في سقف كهف استعمل كمدفن يقع بابه في الجهة الشرقية من الفتحة (**الشكل ١**).

١. صورة جوية توضح موقع المدفن.

١. تكون فريق التنقيب من كل من الدكتور رافع حراحشة؛ مدير آثار جرش، عدنان مجلي؛ آثاري، علي العويصي؛ مهندس، ناجح أبو حمدان؛ آثاري، أكرم العتوم؛ آثاري، خضر العبسي؛ فني صيانة وترميم، وفنيي الصيانة والترميم في مديرية آثار جرش.

بدأت أعمال التنقيب بفتح مدخل الكهف من الخارج حيث ظهر على شكل قطع بالصخر بعرض (١,٨م) وطول (٣م) ويتم الوصول إلى الباب نزولاً بواسطة عدد من الدرجات التي نحتت بالصخر، وقد تكونت طبقة الطمم التي ملأت المدخل من أتربة وحجارة صغيرة وكسر فخارية ومعظمها أجزاء من أبدان جرار وأباريق فخارية وأجزاء من أسرجة بالإضافة إلى بعض الكؤوس والأسرجة عند باب المدفن من الخارج. كما ظهر عدد من الحجارة المشذبة يبدو أنها جزء من مدماك يعلو البوابة على شكل كُرنيش هدم في الفترة اللاحقة.

يبلغ عرض المدخل (٦٥ سم) وارتفاعه (١٣٥سم) ويتكون من عضادتين وعتبه علوية وأخرى سفلية فيها تجاويف من الأعلى ومن الأسفل لتثبيت محور البوابة، وأغلق ببوابة حجرية متحركة وجدت مفتوحة وقد فقد جزء منها، ولها مفصل منحوت بالعضادة الشمالية كما نحت في منتصفها تجويف لوضع القفل الذي عثر على بقاياه (**الشكل ٢**)، مثل هذه الطريقة في الإغلاق معروفة في المدافن الرومانية فقد وجدت في مدفن جرش ٤ (Fisher 1938: 554) ومدفن السلط (Hadidi 1979: 129-137) ومدفن ساكب البيزنطي (أبو عبيلة ٢٠٠٨: ٦٣-٧٩).

يفضي المدخل إلى حجرة الدفن المركزية وهي عبارة عن كهف مقطوع في الصخر، يبلغ ارتفاعه (١,٦م) وقياسه شمال / جنوب (٤,٧م) وشرق / غرب (٩,٤ م)، حفر على جوانبه الثلاثة الشمالية والغربية والجنوبية تجاويف في الصخر، استعمل بعضها للدفن المباشر وبعضها وضع فيه توابيت حجرية أغلقت بأغطية حجرية، وعثر في القاعة المركزية للمدفن على هيكل عظمي وضع مستلقياً على الظهر ورأسه باتجاه الغرب، وقد كانت العظام متآكلة بفعل الرطوبة العالية، كما عثر على جرتين صغيرتين وأمفورة من الفخار.

وصف المدافن (الشكل ٣)

بلغ عدد التجاويف الصخرية في الجهات الثلاث، ثلاثة عشر تجويفاً تحوي أربعة منها توابيت حجرية مجسمة، حيث وضع في التجويف

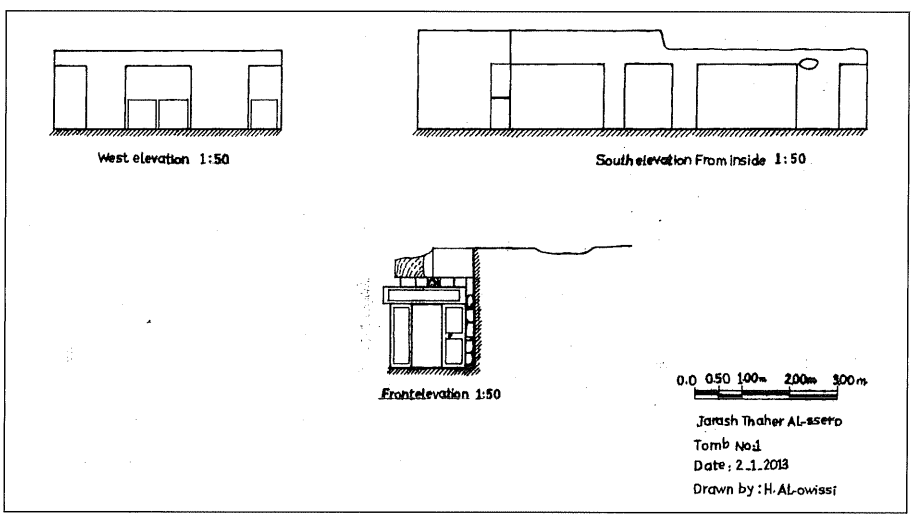

٢. مقطع عرضي للمدفن.

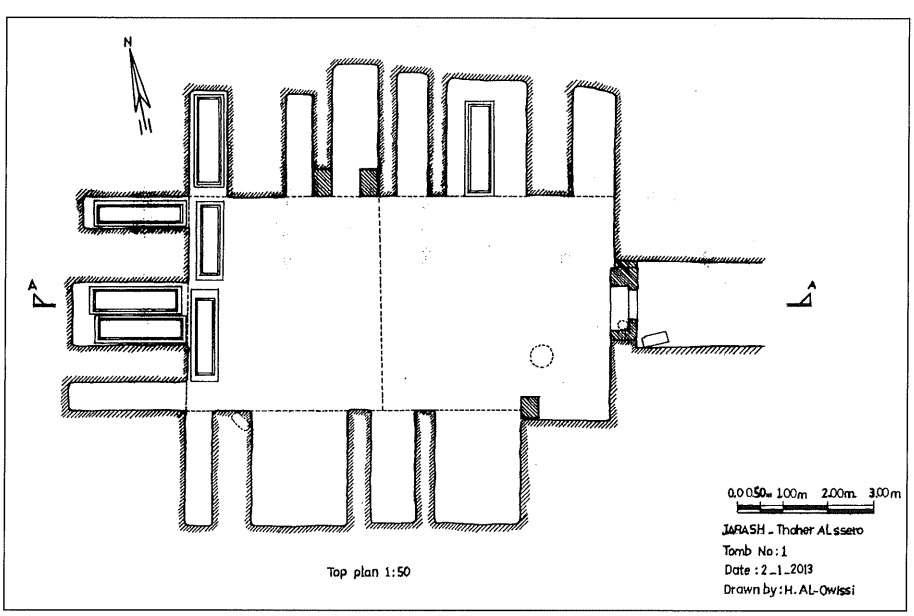

٣. مسقط رأسي للمدفن.

الثاني والسادس والسابع تابوت حجري واحد لكل منهما، وفي التجويف الثامن تابوتان حجريان، كما وضع تابوتان حجريان بشكل طولي في الواجهة الغربية أمام التجاويف الصخرية.

المدفن رقم ١

يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من قاعة الدفن قطع في الصخر الجيري عرضه (٩٠ سم) وعمقه إلى الداخل (٢٤٥ سم)، وارتفاعه (١١٠سم)، ظهر بداخلة أجزاء من عظام بشرية مبعثرة بدون جمجمة، كما عثر على ثلاثة أوان زجاجية أحدها مكسور بالإضافة إلى كسر حديدية. أغلق المدفن بحجارة صغيرة ومتوسطة غير مشذبة واستعمل طين من تربة حمراء كرابط بين الحجارة، ولإغلاق الفتحات.

المدفن رقم ٢

تجويف صخري عرضه (١٨٠سم) وعمقه إلى الداخل (٢٥٥ سم)، وضع في النصف الغربي منه تابوت مجسم مغلق بغطاء حجري وجد بداخله أجزاء من عظام بشرية، ويبدو أن نصف التجويف من الشرق قد خصص أيضا للدفن أو تم العبث بمحتوياته لاحقاً، ولم يعثر سوى على قليل من أجزاء عظمية بشرية، وجد بجانب التابوت جرة (أمفورة) مكسورة إلى جزأين، جراء انهيار السقف.

المدفن رقم ٣

تجويف صخري يفصله الصخر الطبيعي عن المدفن الثاني، أغلق بابه بإحكام بحجارة مشذبة كبيرة وصغيرة، واستعمل طين من تربة حمراء كرابط ولإغلاق الفتحات بين الحجارة، يبلغ عمقه إلى الداخل (٢٧٠ سم) وعرضه (٧٠سم)، عثر بداخله على جرة فخارية كاملة وحلق ذهبي وأجزاء قليلة من عظام بشرية.

المدفن رقم ٤

نحت بالصخر الطبيعي عمقه (٢٩٠سم) وعرضه (١م)، أغلق بإحكام بحجارة كبيرة ومشذبة، وفصل ما بينه وبين المدفن الخامس بجدار مصنوع من حجارة صغيرة وطين، عثر بداخله على أجزاء صغيرة من عظام بشرية فقط.

المدفن رقم ٥

تجويف نحت في الصخر الطبيعي، وفصل ما بينه وبين المدفن الرابع بجدار من الحجارة الصغيرة والطين، عمقه (٢٢٥ سم)، وعرضه (٦٠سم)، لم يعثر بداخله على أي قطع أثرية أو عظام.

المدفن رقم ٦

يقع في الزاوية الشمالية الغربية من قاعة الدفن، عرضه (٨٠ سم) وعمقه (٢٣٠ سم)، وقد وضع بداخله تابوت حجري مجسم، أغلق بغطاء حجري من الحجر الجيري وتم تثبيت بدن التابوت مع الغطاء بست وصلات ربط من الحديد، اثنتان في كل ضلع وواحد عند الطرفين، بلغ طول التابوت من الخارج (٢١٠سم) وعرضه (٦٥سم)، عثر بداخله على هيكل عظمي كامل في وضعية الاستلقاء على الظهر، ولم يعثر بداخل التابوت على مرفقات جنائزية.

المدفن رقم ٧

تجويف نحت في الصخر الطبيعي يقع في الزاوية اليمنى من الجهة الغربية من قاعة الدفن عرضه (٧٠سم) وطوله (٢٣٠سم)، وضع بداخله تابوت حجري طوله (٢٠٥سم) وعرضه (٥٧سم) أغلق بغطاء من الحجر الجيري، وتم ربط بدن التابوت مع الغطاء بوصلات من الحديد، اثنتان عند كل جانب، وواحدة عند طرفي التابوت، عثر بداخله على هيكل عظمي لرجل في وضعية الاستلقاء على الظهر ولم يعثر على أية مرفقات جنائزية.

المدفنان ٨ و٩

تجويف نحت في الصخر الطبيعي في الجهة الغربية من قاعة الدفن، يبلغ عرضه (١٣٠سم) وعمقه (٢٥٠سم)، وضع بداخله تابوتان مجسمان من الحجر الجيري، على كل منهما غطاء من الحجر، يبلغ طول التابوت رقم ٨ (٢٠٥سم) وعرضه (٦٠سم) والتابوت رقم ٩ طوله (٢٠٠سم) وعرضه (٦٠سم)، عثر بداخل التابوت رقم ٨ على أجزاء من عظام بشرية يظهر عليها آثار حرق، كما عثر على رماد، حيث تم حرق جثة أو أكثر ووضع الرماد وأجزاء العظام المتبقية التي لم تحرق داخل التابوت، وعادة الدفن بالحرق كانت معروفة في الفترة الرومانية (انظر لاحقاً)، أما التابوت رقم ٩، فوضع على يسار التابوت رقم ٨، له غطاء حجري محكم الإغلاق عثر بداخله على رماد وأجزاء من عظام بشرية لشخص كبير السن، وأجزاء من عظام بشرية لطفل، وكما في التابوت رقم ٨، يبدو أنه تم حرق الجثث ثم وضع الرماد داخل التابوت. وفي المدفن رقم ٩ عثر على كسر من مرفقات جنائزية، زجاجية وبرونزية، كما عثر بجانب التابوتين على ثلاثة أوانٍ من البرونز لحقها تلف بسبب الانبعاج، وتآكل بسبب الأكسدة.

المدفن رقم ١٠

يقع في الواجهة الغربية الجنوبية من قاعة الدفن يبلغ عمقه (٢٦٠سم) وعرضه (٦٠سم) قطع المدفن في الصخر الطبيعي، وأغلق مدخله بإحكام بحجارة صغيرة وطين من تربة حمراء، عثر بداخل المدفن على عظام بشرية بدون جمجمة، وقد وضعت بشكل عشوائي، كما عثر على كسر من الحديد المتأكسد.

المدفن رقم ١١

تجويف نحت في الصخر الطبيعي يبلغ عمقه (٢٥٠سم) وعرضه (٦٠سم)، أغلق مدخله بإحكام بواسطة حجارة كبيرة ومشذبة، واستعمل

طين من تربة حمراء كرابط بين الحجارة، وإغلاق الفتحات الصغيرة. ظهر المدفن فارغاً تماماً ولم يعثر بداخله على أي عظام بشرية أو مرفقات جنائزية.

المدفن رقم ١٢

مدفن مزدوج يبلغ عمقه (٢٥٠سم) وعرضه (٢١٠سم)، فصل المدفن من الداخل بجدار من الحجر الصغير والطين، وأغلق الباب بحجارة كبيرة وصغيرة بعضها مشذب، وبعضها غشيم، واستعمل الطين الأحمر كرابط بين الحجارة، ولإغلاق الفتحات، استعمل كل جزء من المدفن المزدوج كغرفة دفن منفصلة، وقد عثر في الغرفة الغربية على أجزاء من عظام بشرية، موضوعة بشكل عشوائي، وفي الغرفة الشرقية ايضاً على أجزاء من عظام بشرية مبعثرة ولا يوجد أي مرفقات جنائزية داخل المدفن.

المدفن رقم ١٣

قطع المدفن في الصخر الطبيعي يبلغ عمقه (٢٤٥سم) وعرضه (١٠٠سم)، وقد حدث انهيار في سقفه بسبب الرطوبة، وعند تنظيفه، عثر بداخله على أجزاء من عظام غير واضحة مع قليل من الرماد، مما يشير إلى أنه قد دفنت جثة محروقة فيه.

المدفن رقم ١٤

مدفن مزدوج، فصل بين غرفتي الدفن بجدار من الحجارة الصغيرة والطين، يبلغ عمقه (٢٥٠سم) وعرضه (١٩٠سم)، وقد أغلق المدخل بحجارة متوسطة وكبيرة، وطين من تربة حمراء كرابط بين الحجارة، تعرض سقف المدفن للتآكل ولسقوط أجزاء منه على أرض المدفن، وعند تنظيفها عثر على أجزاء من عظام بشرية وضعت بشكل عشوائي.

المدفن رقم ١٥

تابوت حجري وضع في الواجهة الغربية من قاعة المدفن الرئيسية، ويغلق باب المدفن رقم ٦، يبلغ طوله (٢٥٠سم) وعرضه من الخارج (٦٠سم)، لوحظ وجود إزاحة للغطاء الحجري عن مكانه الأصلي، مما يشير إلى محاولة فتحه في فترات سابقة، ظهر بداخله عظام هيكل عظمي مكتمل جمع في طرفه؛ ربما لإعادة استخدامه. لم يعثر بداخله على أي مرفقات جنائزية.

المدفن رقم ١٦

تابوت حجري وضع بجانب التابوت رقم ١٥ من جهة الجنوب يبلغ طوله (١٧٥سم) وعرضه من الخارج (٦٠سم)، ويبدو أنه فتح سابقاً، لعدم إحكام الغطاء، عثر فيه على بقايا عظام بشرية، وكسر نحاسية وحديدية، وحلق ذهبي وعدد من الرقائق الذهبية الصغيرة.

المقارنة مع أمثلة مشابهة

وجد في مدفن طبقة فحل (١٣)، تابوتان حجريان على أرضية المدفن، وقطع في جدرانه الثلاثة، ويحوي أحد عشر تجويفاً للدفن، بعضها مفرد وبعضها مزدوج، وقد أُرِّخَ المدفن إلى الفترة الرومانية المتأخرة «القرنين الثاني والثالث الميلاديين» (McNicoll 1992: 154). وكذلك في مدفن طبقة فحل ٥٤، فقد حفر في جدران الحجر المركزية ثلاثة عشر تجويفاً للدفن بشكل منتظم، كما وجد عند المدخل تابوت من الحجر الجيري عليه زخارف، وقد أُرِّخَ المدفن إلى الفترة الرومانية المتأخرة (McNicoll 1992: 164) . وفي مدفن جرش رقم ٧ الذي يتكون من حجرة مركزية قطع في جدرانها ثلاث حنايا قوسية وقد عثر على تابوت حجري وضع بمحاذاة الجدار الجنوبي وقد أُرِّخَ المدفن من خلال اللقى الأثرية إلى القرنين الأول أو الثاني الميلاديين، وأعيد استخدامه في القرنين الرابع أو الخامس الميلاديين (Fisher 1938: 560-561). ويتكون مدفن قويلبة (Q: 2) من حجرة مركزية مستطيلة قطع في جدرانها الثلاثة تجاويف للدفن مستطيلة كما وجدت ثلاثة توابيت على أرضية الحجرة المركزية وتابوت حجري وضع في تجويف غير منتظم الشكل، وقد أُرِّخَ المدفن لأواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلادي. (Barbet and Guigue 1994: 102) ويحتوي مدفن السلط على حجرة مركزية مربعة الشكل بني على ثلاث واجهات منها غرف مقنطرة بالحجر، بداخل كل منها تابوت حجري بالإضافة إلى عدد من القبور في أرضية الحجرة بنيت بحجارة مشذبة في طابقين، وقد أُرِّخَ المدفن إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين (Hadidi 1979: 129-137). ويتكون مدفن طبقة فحل ٦٤ من حجرة مركزية مستطيلة، قطع في جدرانها الثلاثة أحد عشر تجويفاً مستطيلاً للدفن، ووجد على أرضية الحجرة المركزية تابوتان من الحجر الجيري بجانب بعضهما، وقد عثر بداخله على عدد من الأسرجة والجرار الفخارية وجرار صغيرة وزبادي وأباريق وأواني زجاجية وخرز وبرونز وحديد وقطع نقدية، أُرِّخَ المدفن لفترة طويلة تمتد من القرن الأول وحتى القرن الرابع الميلادي (McNicoll 1992: 170). واحتوى مدفن كهف جرش على سبعة توابيت حجرية وضعت على أرضية الكهف وتابوت صغير من الصلصال وصندوق رصاص صغير، ومن اللقى الأثرية التي عثر عليها في المدفن فقد أُرِّخَ المدفن إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي (Naghawi 1989: 201-218).

وهذه الأمثلة المقارنة تقودنا إلى أن المدافن التي تتكون من حجرة مركزية قُطع في ثلاث جهات منها تجاويف للدفن بأشكالها المختلفة وتجاويف دفنية بمختلف الأحجام (مفردة، ومزدوجة، وعريضة بشكل حجرات مقطوعة في جدران حجرة الدفن المركزية)، وتوابيت مجسمة وضعت في داخل تجاويف دفنية مقطوعة في جدران حجرة الدفن المركزية، وتوابيت مجسمة موضوعة على أرضية المدفن المركزية، تؤرّخ إلى الفترة الرومانية المتأخرة.

عادات الدفن

ظهر في مدفن ظهر السرو أكثر من طريقة دفن فقد وجدت عظام

بشرية مبعثرة بدون جمجمة كما في المدافن ١، ٢، ٣، ١٠، ١٢، ١٤، وعظام بشرية عليها آثار حرق بالإضافة إلى رماد في أرضية المدفن، كما في المدافن ٨، ٩، ١٣. كما ظهر المدفنان ٥، ١١ فارغين تماماً على الرغم من أنه تم إغلاقهما بإحكام، ولم يعثر على جثث كاملة سوى في التوابيت المجسمة ٦، ٧، ١٥ وعظام جثة كاملة أيضا في التابوت المجسم رقم ١٦، وقد جمعت العظام في طرف التابوت تمهيداً لاستعماله مرة ثانية. بالإضافة إلى هيكل عظمي كامل وضع مستلقياً على الظهر في منتصف أرضية الحجرة المركزية.

الدفن بالحرق

ظهرت في مدافن الفترة الرومانية التي عثر عليها في الأردن تحديداً دلائل قليلة على وجود عادة الحرق في الدفن فقد عثر في مدفن حسبان (31F) على جرة فخارية بداخلها رماد جثث محروقة، وقد أُرِّخَ المدفن للفترة الرومانية المبكرة وأعيد استخدامه في الفترة الرومانية المتأخرة، كما عثر على رماد في بعض التجاويف الدفنية الأخرى (Davis 1978: 129-148).

عُثر كذلك في أحد مدافن مطار الملكة علياء على صندوق من الرصاص فيه عظام إنسان حُرقت قبل وضعها في الصندوق وقد كان الحرق تاماً، وقد أُرِّخت إلى بداية القرن الثالث ميلادى، وقد خلص الباحث إلى أن ذلك كان ممارسة غريبة على المجتمع (Ibrahim 1986: 38-39). وأضاف أن من قام بالدفن قد مارس عادات مألوفة لديه، وكأنه يشير إلى أنه من خارج المنطقة وأن ممارسة الدفن بالحرق كانت غير معروفة في الفترة الرومانية في الأردن. كما ظهر في مدفن الجوفة عظام عليها دلائل حرق، ووجدت أيضاً آثار إشعال نار في أرضية المدفن، وعثر بالإضافة إلى ذلك على هياكل عظمية غير محروقة وبهذا استخدم الدفن العادي للجثة ودفن ثانوي بحرق بعض الجثث في مكان آخر ومن ثم جلبت إلى المدفن وقد أُرِّخَ المدفن إلى منتصف القرن الثالث الميلادي (Harding 1950: 81-95).

اللقى الأثرية

عثر على عدد من القطع الأثرية الفخارية والبرونزية الكاملة بعضها في قاعة المدفن الرئيسية وبعضها الآخر داخل المدافن منها أمفوراتان، وجرة إسطوانية الشكل، وجرة أخرى، وإبريقان بدون مصب، وخمسة أكواب وثمانية أسرجة وإناء فخاري رسم على بدنه من الخارج قطف عنب وثلاثة مدامع زجاجية كاملة وحلقان ذهبيان.

وصف اللقى

١ – جرة من الفخار، متوسطة الحجم، البدن من الخارج ذات حزوز نافرة، العنق قصير، والفوهة مشطوفة إلى الخارج، لها مقبضان على أكتاف البدن من الأعلى، القطر عند القاعدة أكثر من أعلى البدن، وهناك كسر في بعض أجزاء من البدن، اللون كريمي، قطر الفوهة (١٠سم)، وارتفاع الجرة (٤٨سم)، ظهر مايشبه ذلك في المدفن رقم٥ من جرش (Fisher 1938: 559. Fig, 37)، رقم التسجيل في مستودع التنقيبات (٢٢١٢) (**الشكل ٤**).

٢ – أمفورة كاملة، وجد العنق مع الأكتاف وجزء من البدن مفصولاً عن بقية البدن، مرممة، القاعدة مخروطية ومستوية من الأسفل، لها مقبضان سميكان يصلان ما بين طرف الفوهة من الأسفل وكتف الإمفورة من الأعلى، الفوهة حلقية وسميكة، الطول (١٠سم) وقطر الفوهة (١٢سم) اللون كريمي استعملت لحفظ السوائل، ظهر مايشبه ذلك في المدفن رقم١١ من جرش (Fisher 1938: 567, fig. 45) رقم التسجيل في المستودع (٢٢١٥) (**الشكل ٥**).

٣ – أمفورة كاملة القاعدة مخروطية ومستوية من الأسفل، لها مقبضان سميكان يصلان ما بين أسفل الفوهة وكتف البدن من الأعلى، العنق طويل وتشكلت الفوهة من حلقتين دائريتين تعلوان بعضهما، الطول (٥٩سم) قطر الفوهة (١١سم) اللون كريمي رقم التسجيل في المستودع (٢٢١٣) (**الشكل ٦**).

٤ – جرة برميلية الشكل لها مقبضان سميكان يصلان ما بين أسفل الفوهة وكتف البدن من الأعلى كما تم إضافة طبقة على العنق لزيادة تماسكه ولربط المقبضين به. الفوهة مبرومة الشكل سميكة تبرز للخارج عن الرقبة، القاعدة دائرية مقعرة مساوية لحجم بدن الجرة من الأسفل، طول الجرة (٦٢سم) وقطر الفوهة (١٢سم) اللون كريمي. استعملت لحفظ السوائل ظهر مايشبه ذلك في المدفن رقم١٢

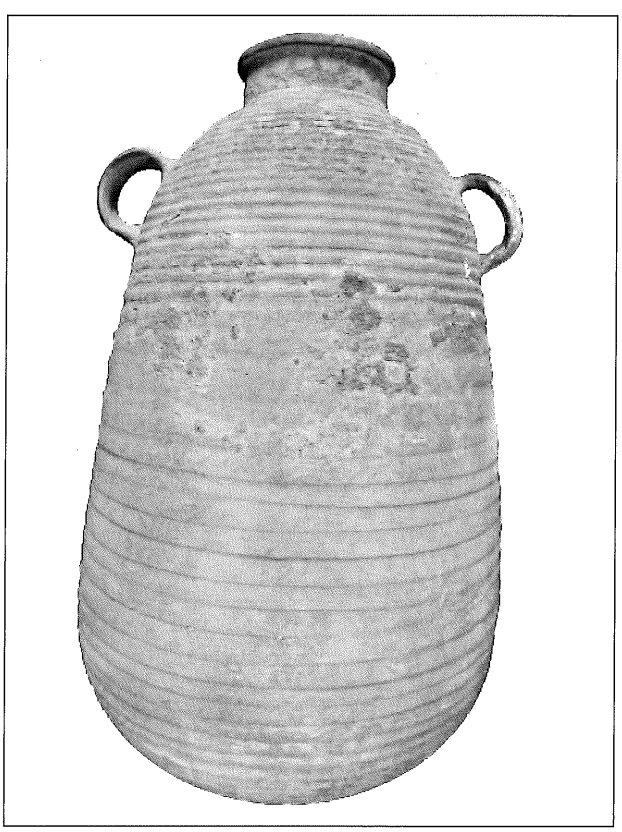

٤. جرة من الفخار، متوسطة الحجم.

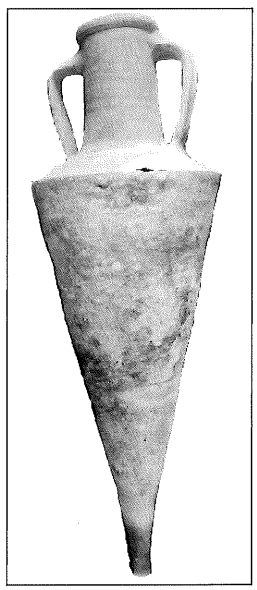

٥. أمفورة كاملة.

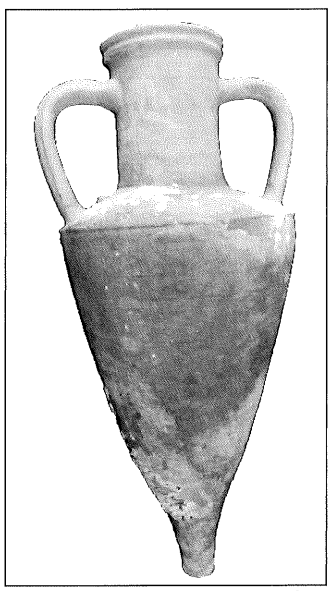

٦. أمفورة كاملة، القاعدة مخروطية.

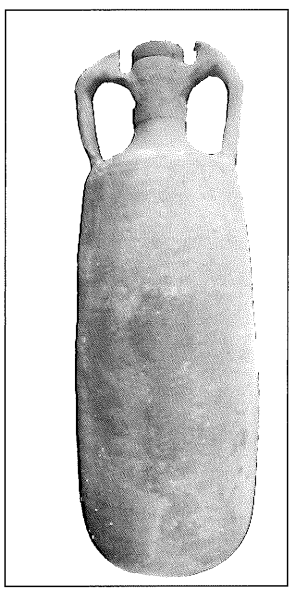

٧. أمفورة كاملة، القاعدة مخروطية.

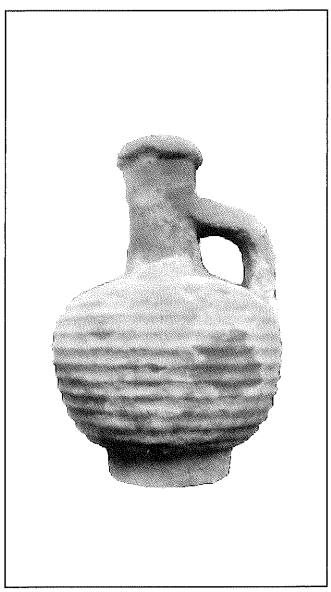

٨. جرة برميلية الشكل.

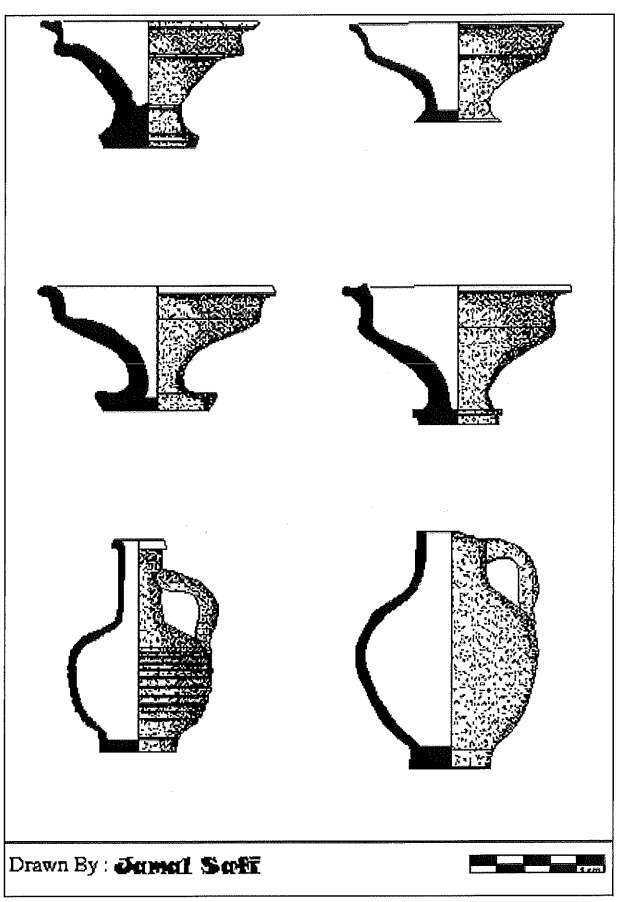

٩. رسم توضيحي لأكواب فخارية وجرار.

من جرش (Fisher 1938: 570, Fig. 47)، (رقم التسجيل (٢٢١٤) **(الشكل ٧)**.

٥ – إبريق فخاري بدون مصب، له مقبض يصل ما بين منتصف العنق وأعلى كتف البدن، والقاعدة حلقية، مقعرة من الخارج، تبرز عن البدن بحوالي (١سم)، ظهر البدن من الخارج محززاً على شكل حلقات دائرية، العنق طويل، والفوهة سميكة مشطوفة إلى الخارج، الطول مع القاعدة (٨,٥ سم) وقطر الفوهة (١,٥ سم)، اللون بني ضارب إلى الحمرة، ورقم التسجيل في المستودع (٢٢٢٢). **(الشكلين ٨ و٩)**

٦ – إبريق فخاري صغير الحجم، كروي الشكل، بدون مصب، فاقد الفوهة، وجزء من العنق له مقبض يصل ما بين العنق والبدن، القاعدة حلقية صغيرة، اللون بني فاتح واستعمل بطانة خارجية ذات لون بني غامق، الطول (٨,٥ سم) ظهر مايشبه ذلك في المدفن رقم ٨ من جرش (Fisher 1938: 563, Fig .4) رقم التسجيل في المستودع (٢٢٣٤) **(الشكلين ٩ و١٠)**.

٧ – إناء فخاري أسطواني على شكل إبريق، بدون مقبض، مع تشكيل مصب قصير بارز للخارج من جدار الفوهة من الأعلى، والعنق قصير، وقد شطفت الفوهة بزيادة اتساعها عن الأطراف للخارج، القاعدة مستديرة، زخرف البدن بقطف من العنب، اللون من الداخل بني ضارب للحمرة، وقد وضع على البدن من الخارج بطانة ذات لون بني ترابي الطول (٢٤سم) وقطر الفوهة (٧سم) ظهر مايشبه ذلك في المدفن رقم ٨ من جرش (Fisher 1938: 563, Fig. 41) رقم التسجيل ٢٢١٦ **(الشكل ١١)**.

٨ – أكواب صغيرة، عددها خمسة، ظهرت في أماكن مختلفة من المدفن، ويوجد في القعر من الداخل تجويف نحو القاعدة، حافة الكأس مستقيمة إلى الأعلى بارتفاع (١سم) ومشطوفة قليلاً إلى الخارج، القاعدة حلقية ومقعرة من الخارج طول العنق (٢سم)، يبلغ الارتفاع ما بين (٤–٥سم) وقطر حافة الكأس ما بين (٧,٥ـ ٨,٥ سم) اللون كريمي وبعضها كريمي ضارب إلى الحمرة. ظهر مايشبه ذلك في المدفن رقم٥ من جرش (Fisher 1938: 558, Fig. 36) **(الشكلان ٩و١٢)**.

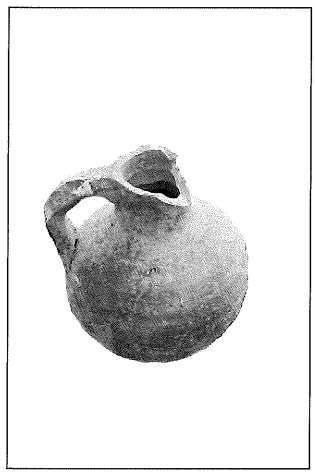

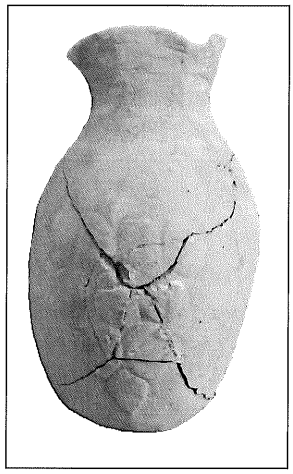

١٠. إبريق فخاري صغير الحجم بدون مصب.

١١. إناء فخاري أسطواني على شكل إبريق.

٩ – قرط ذهبي صغير، هلالي الشكل، مفرغ من الداخل، متآكل من الجانب، ومفقود جزء من البدن.

١٠ – قرط ذهبي، صغير ومجدول، عليه طبعة وخرزة صغيرة، بنية اللون ومثبتة على البدن.

١١ – حلقة صغيرة، دائرية، بداخلها خرزة لونها أخضر، ولها عروة صغيرة ربما حلية توضع في الأنف.

١٢ – ثمانية أسرجة من الفخار، مختلفة الأشكال، زخرف سطحها الخارجي بزخارف هندسية ونباتية (**الشكلان ١٣ و١٤**).

١٣ – أربعة قوارير زجاجية (**الشكل ١٥**).

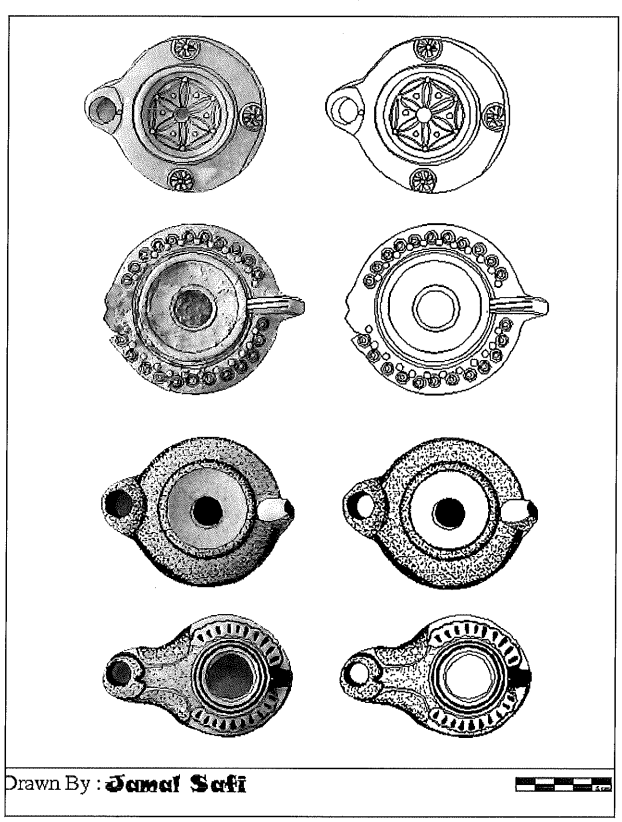

١٣. رسم توضيحي لمجموعة من الأسرجة الفخارية.

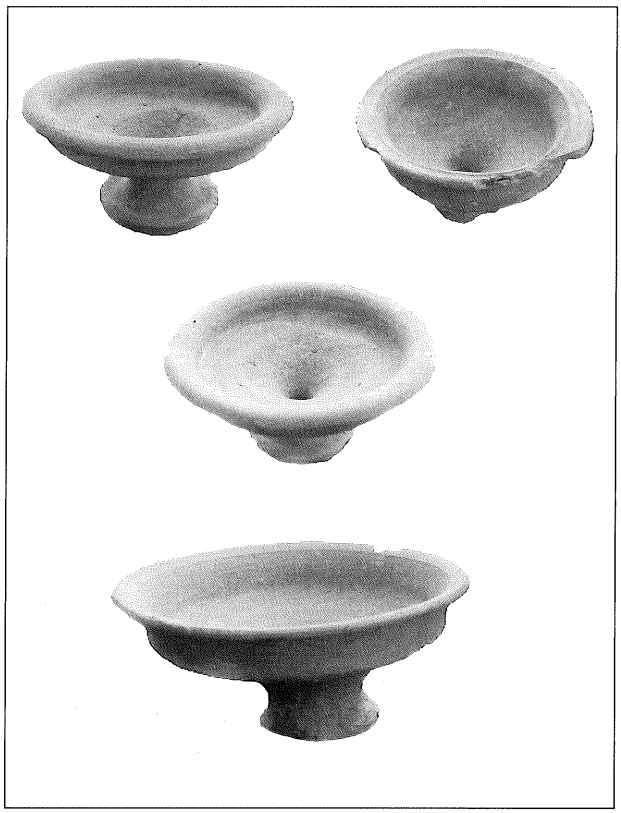

١٢. مجموعة من الأكواب الفخارية.

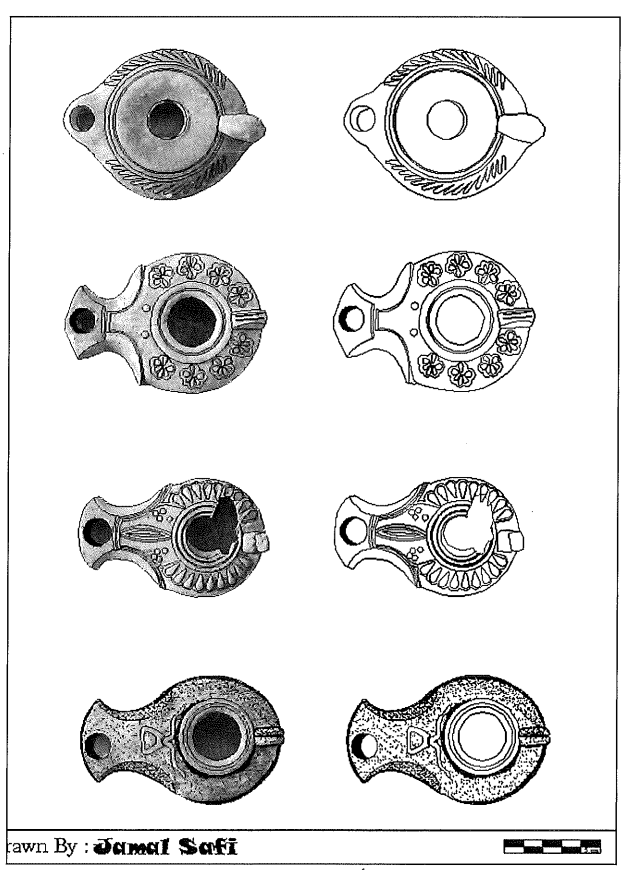

١٤. رسم توضيحي لمجموعة من الأسرجة الفخارية.

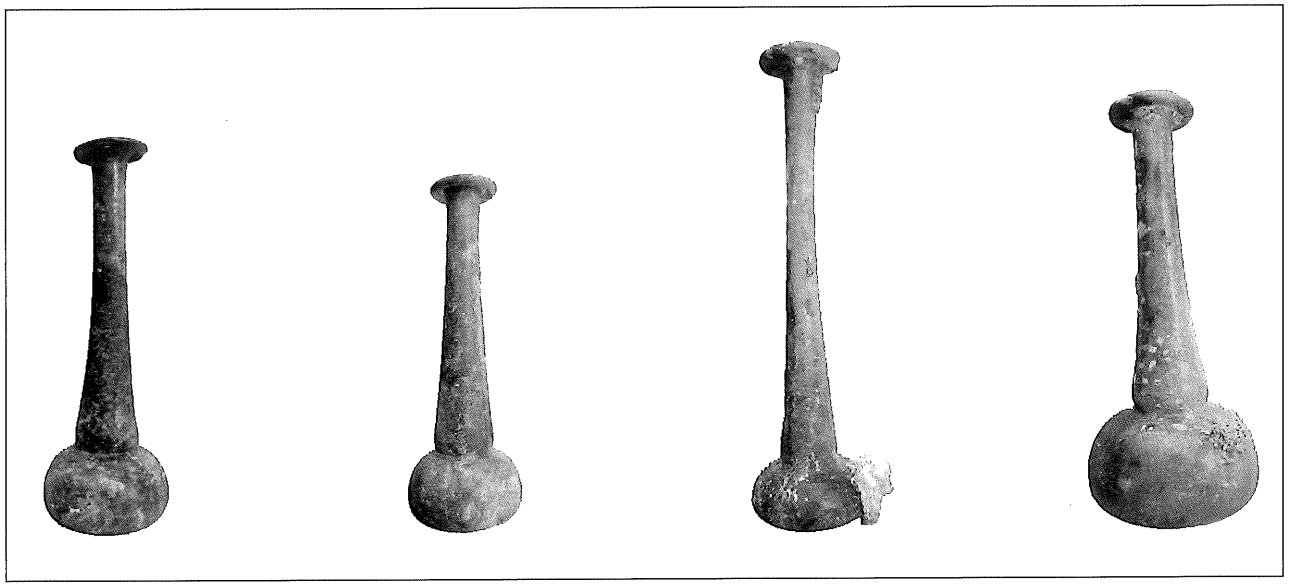

١٥. قوارير زجاجية.

المراجع

أبو عبيلة، محمد

٢٠٠٨ **مدفن بيزنطي في بلدة ساكب، حولية دائرة الآثار العامة** ٥٢: ٦٣-٧٩.

Barbet, A. and Guigue, C. V.

1994 Le Peintures des Necrepoles Romaines d, *Archaeologie du Proche – Orient*. Beyrouth.

Davis, J. J.

1978 Hashbon 1976, Area Fond, *KAUSS XVI, no. 1*: 120-148.

Fisher, C. S.

1938 Gerasa City of the Decapolis. Edited By Kraeling. *C.H. ASSOR*, New Haven.

Hadidi, A.

1979 Roman Family Tomb at Es- Salt. *ADAJ 23*: 129-137.

Harding, G. L.

1950 A Roman Family Valut on Jebel Jofah, Amman. *QDAP 14*: 81-95.

Ibrahim, M., Gordon, R.

1986 A Cemetery at Queen Alia International Airport. *Yarmouk University Publications*.

McNicoll, A. W. et al.

1992 Pella in Jordan 2, *the university of Sydney College of Wooster Excavation at Pella 1982-1988*. Sydney.

Naghawi, A.

1989 A new Rock-Cut Tomb in Jarash. Pp 201-218 in *Jarash Archaeological Project 1984 – 1988. Vol 11*, Paris.

عمان البلقاء في نهاية الفترة المملوكية وبداية الفترة العثمانية، في ضوء أعمال التنقيب لموقع أم زويتينة

باسم المحاميد و هنادي الطاهر

توطئة

يتناول هذا البحث دراسة أولية للملامح الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمنطقة شرق الأردن عموماً ومنطقة عمان البلقاء خصوصاً ما بين نهاية الفترة المملوكية وبداية العصر العثماني في محاولة للتعرف على الأسباب التي أدت إلى ازدهار المنطقة في الفترة المملوكية ومن ثم تراجعها في الفترة العثمانية وذلك في ضوء نتائج الحفريات الأثرية وتحليل الشواهد المعمارية التي عثر عليها في موقع أم زويتينة الأثري في منطقة الجبيهة شمال عمان.

ومعرفة هل كان هذا التراجع في الاستيطان وليداً لأحداث جرت بداية القرن السادس عشر مع سيطرة العثمانيين على المنطقة بعد انتصارهم في معركة مرج دابق عام (١٥١٦م) التي جرت أحداثها بين السلطان العثماني سليم الأول وبين السلطان المملوكي قنصوه الغوري وهل كان لهذه السيطرة العثمانية دور في تراجع الاستيطان في المنطقة أم أن هذا التراجع في الاستيطان حدث نتيجة لسلسلة من الأحداث السياسية والاقتصادية سبقت دخول العثمانيين إلى المنطقة وذلك من خلال الشواهد المعمارية التي عثر عليها أثناء أعمال التنقيب.

الموقع

تقع خربة أم زويتينة ضمن أراضي قرية أم زويتينة حوض ٣ ظهر العين، من أراضي منطقة الجبيهة إلى الشمال من وزارة التعليم العالي، وعلى بعد حوالي ٧٠٠م إلى الشمال الغربي من دوار المنهل على الطريق الجديد الذي يربط منطقة الجبيهة بمنطقة أبو نصير، وضمن الإحداثيات N 32.03484 E 35.88378 وترتفع حوالي ١٠٠٠م عن مستوى سطح البحر. ومن الملاحظ أن منطقة أم زويتينة ذات موقع متوسط بين عمان وجرش على مسافة ليست ببعيدة عن الطريق الروماني الذي كان يربط فيلادلفيا (عمان) بجرش (**الشكل ١**).

التسمية: دلالات ومعاني

اسم الموقع «أم زويتينة»، وزويتينة تصغير زيتونة وهي «شجرة مثمرة وثمرها يستخرج منه الزيت» (نصير ٢٠١٠: ٣٧١).

ظهر العين وهو اسم الحوض الذي تتبع له أراضي أم زويتينة «ما غلظ من الأرض، والعين ينبوع الماء» (نصير ٢٠١٠: ٣٧١)، أما منطقة الجبيهة فقد جاءت من الجبهة «ما بين الحاجبين إلى الناصية،

١. موقع أم زويتينة، صورة جوية.

وجبهة القوم سيدهم» (نصير ٢٠١٠: ٣٧٢).

من خلال دراسة تحليلية بسيطة لدلالة التسمية وطبيعة المنطقة الجغرافية نلاحظ أن الموقع قد اكتسب التسمية من خلال الطبيعة الجغرافية للمنطقة، حيث تنتشر فيها مصادر مياه غزيره ومتعددة، ويذكر بعض السكان المحليين أنه كان يوجد حوالي أربعة ينابيع في هذه المنطقة. ويمكن ملاحظة شجيرات الطيّون الكثيفة وهذه الشجيرات تكثر عند مصادر المياه.

كما يمكن ملاحظة الطبيعة الجبلية الوعرة والتي ترتفع حوالي ١٠٠٠م عن سطح البحر وهي ذات أمطار غزيرة تصلح لزراعة الأشجار المثمرة، ومن المعتقد أن التسمية أم زويتينة جاءت لكثافة زراعة أشجار الزيتون في المنطقة.

وهنا يمكن ملاحظة دلالة الاسم الجغرافي في تفسير الموقع وما يدل عليه من طبيعة الاستخدام.

الدراسة المعمارية الأولية لموقع أم زويتينة

من خلال أعمال التنقيب في الموقع ظهرت ثلاث طبقات أثرية تمثل ثلاث مراحل من الاستيطان تعود إلى العصر المملوكي وبداية العثماني (**الشكل ٢**)، من الأقدم إلى الأحدث:

المرحلة الأولى: بداية القرن الرابع عشر الميلادي

وهي المرحلة الأقدم من الاستيطان المملوكي، فقد كشفت أعمال التنقيبات الأثرية عن وجود مبنى مكون من غرفتين مشتركتين بجدار بسماكة حوالي (١م) يحمل سقفاً نصف برميلي ويستند على الجدار الأوسط ويغطي الغرفتين مشكلاً قبوين متجاورين (**الشكل ٣**).

حيث أن هذا النظام المعماري وهو ما يعرف بنظام الأقبية شائع بشكل كبير في منطقة الأردن في فترة القرن الرابع عشر ويمكن مشاهدة هذا النظام المعماري في ذيبان وحسبان وجلول والدير في الفحيص والسلط والبحاث.

إن النمط المعماري المتبع في البناء الذي يشكل مجموعة من البيوت ذات تقسيمات هندسية منظمة يدل على استقرار ساكني البيوت ويعكس حالة الاستقرار السياسي والأمني التي تعيشها المنطقة في تلك الفترة، ومن خلال البحث في المصادر التاريخية نلاحظ أن منطقة عمان في هذه المرحلة شهدت ازدهاراً معمارياً ونشاطاً سكانياً كثيفاً.

تعتبر الفترة المملوكية من الفترات التاريخية التي تناولها بالدراسة الكثير من المؤرخين المعاصرين للفترة المملوكية إضافة إلى المؤرخين المحدثين من كافة نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لما شهدته هذه الفترة من أحداث هامة وفرت للباحثين والمؤرخين مادة تاريخية غنية، وذلك لكثرة التفاصيل التي يمكن الحديث عنها، كالصراعات والحروب مثل الحروب الصليبية ودخول المغول إلى المنطقة وحالة عدم الاستقرار السياسي في منطقة بلاد الشام، والذي أدى إلى هجرة عدد كبير من السكان من مناطق الصراع في سوريا والعراق والساحل الفلسطيني والاستيطان في منطقة شرق الأردن عموماً ومنطقة عمان البلقاء خصوصاً، والدليل على ذلك كثرة المواقع الأثرية التي تؤرخ إلى هذه الفترة، أو إعادة استخدام بعض المواقع الأثرية التي تعود إلى فترات أقدم، وخاصة مناطق الاستطلاع العسكري كمواقع العصر الحديدي الثاني حيث أن الظروف السياسية

٢. منظر عام لأعمال التنقيب في الموقع.

٣. نظام الأقبية المتبع في الفترة المملوكية.

تقريباً متشابهه بين العصرين المملوكي والحديدي الثاني. فقد دلت المسوحات الأثرية التي جرت في منطقة عمان البلقاء على اتساع الاستيطان في العصر المملوكي وتطور بعض الصناعات والحركة التجارية، وكذلك كشفت الحفريات الأثرية عن وجود مبانٍ إدارية ودينية منتشرة في المنطقة تدل على هذا النشاط واهتمام المماليك بالمنطقة، ففي حسبان عثر على قصر يعرف باسم قصر الحاكم المملوكي وحمام ومدرسة، وفي منطقة البحاث غرب عمان عثر على قصر يؤرخ إلى هذه الفترة وهذا دليل على وجود نظام اجتماعي وسياسي وإداري خلال حكم المماليك في القرن الرابع عشر في منطقة شرق الأردن.

وهنا بعض الأسباب التي أدت إلى ازدهار منطقة شرق الأردن خلال حكم المماليك :

١- العمق الجغرافي الاستراتيجي، أدى إلى بناء القلاع والتحصينات العسكرية، وتطور البريد وطرق المواصلات وطرق الحج لأن المنطقة بقيت تحت سيطرة الدولة المملوكية، ولم يتم السيطرة عليها بشكل كامل من قبل الصليبيين أو المغول، وحرصاً من الدولة المملوكية على الاستقرار السياسي في المنطقة التي أصبحت تشكل العمق الاستراتيجي، ونقطة وصل بين مصر والشام، عمدت الدولة المملوكية إلى الدخول في أحلاف عسكرية مع القوى المحلية والعشائر البدوية.

٢- الهجرات السكانية باتجاه منطقة شرق الأردن التي أصبحت ملاذاً آمناً لكافة المهاجرين والفارين من الحروب من مناطق العراق والشام وفلسطين.

٣- شكلت منطقة شرق الأردن سلة غذاء للدولة المملوكية والجيش، فتطورت بعض الصناعات مثل صناعة السكر والصابون في غور الأردن وصناعة النيل في غور الصافي وصناعة الحديد في عجلون وخربة الدير في منطقة الفحيص، والكبريت الأبيض والقار من البحر الميت وأصبحت مناطق الأردن كذلك المصدر الأكبر لتزويد الدولة المملوكية بالغلال (غوانمة ١٩٧٩).

٤- النشاط الفكري والثقافي، الذي نتج عن الاستقرار السياسي والأمني لهذه المنطقة خلال العصر المملوكي، وليس أدل على ذلك من انتشار المدارس مثل مدرسة حسبان المملوكية، والمدرسة الشافعية في الكرك، والمدرسة اليقينية في عجلون، ومدرسة صرغتمش في عمان والتي تؤرخ إلى مرحلة متأخرة من حكم الدولة المملوكية ١٣٥٦م. وكذلك انتشار بعض المنشآت المدنية ذات المنافع العامة مثل البيمارستانات (غوانمة ١٩٧٩).

المرحلة الثانية - بداية القرن الخامس عشر الميلادي

تمثلت هذه المرحلة بإعادة استخدام المباني التي تؤرخ إلى القرن الرابع عشر الميلادي، فقد دلت أعمال التنقيب في هذه المرحلة على أن هنالك تراجعاً واضحاً في الأنماط المعمارية من حيث صغر مساحات الغرف، وتغيراً في نظام التسقيف المتبع في المرحلة الأولى ليتحول من نظام الأقبية إلى نظام الأقواس وكذلك عدم استخدام المادة الرابطة، مما أدى إلى تراجع في متانة البناء، حيث من الصعوبة تحديد مبنى واحد بمنهج معماري نستطيع التعرف عليه، وعثر على الكثير من الحجارة المتساقطة التي أعيد استخدامها لبناء غرف جديدة ولكن بشكل مختصر. ويبدو من تقسيمات الغرف أن حظائر الحيوانات أصبحت جزءاً من هذه الغرف (**الشكل ٤**) مما يدعو إلى الاعتقاد أن السكان غير آمنين على ترك الماشية خارج حدود المنزل، وهذا يشكل بداية الانهيار في النظام الأمني.

٤. حظائر الحيوانات داخل البيوت التي تعود إلى المرحلة الثانية من الاستيطان.

المرحلة الثالثة- القرن السادس عشر الميلادي (بداية الفترة العثمانية)

من خلال أعمال التنقيب في الطبقة السطحية لوحظ وجود نمطين معماريين:

- النمط الأول عبارة عن جدران طولية ليس لها أية صفة معمارية واضحة، تتكون من مدماكين وصفين من الحجارة وبأطوال مختلفة وجدت في الطبقة السطحية (top soil).
- النمط الثاني عبارة عن غرف دائرية الشكل مكونة جدرانها من حجارة كبيرة نسبياً مبنية من صف واحد ومدماك واحد من الحجارة (**الشكل ٥**).

ومن هنا كان لا بد من التوقف عند النمط المعماري الدائري وهو نمط بسيط جداً ولكن وجوده في هذه الطبقة وطريقة البناء في هذه الفترة يعتبر غريباً نوعاً ما، ويمكننا هنا إبراز مجموعة من الملاحظات على هذه المرحلة:

١- أن مثل هذه الجدران الدائرية التي لا تحوي أي مظاهر أو شواهد لوجود أبواب ومداخل يمكن الاستنتاج أن هذه الجدران لا تحمل سقفاً ثقيلاً بل وجدت لحمل سقف خفيف مثل القماش أو القش وهذا يدعم فكرة الاستيطان المؤقت قبل مرحلة هجران الموقع.

٢- من خلال دراسة هذه الأنماط المعمارية وطريقة البناء يمكن القول أن هذه الأنماط المعمارية جاءت بسبب أن الاستيطان في موقع أم زويتينة أصبح استيطاناً موسمياً أو استيطاناً مؤقتاً وعليه تكون هذه المرحلة هي الأخيرة من مراحل الاستيطان في الموقع.

٣- من خلال البحث في الفترات التراثية تبين أن مثل هذه الأنماط من البناء لا زال يستخدم إلى الآن أثناء فترات الحصاد وجمع

٥. النمط المعماري الدائري.

الثمار وأن البناء الدائري الذي يحمل السقف الخفيف يعرف إلى الآن باسم القصر وهو يستخدم من قبل مالك الأرض عند إشرافه على الحصاد.

٤- من خلال الدراسة الأولية للفخار المكتشف في الطبقات الثلاث التي تمثل ثلاث مراحل من الاستيطان في الموقع والتي أُرِّخَت جميعها في البداية إلى العصر المملوكي وذلك لأن جميع الكسر الفخارية متشابهة من حيث الزخارف والشكل، إلا أنه لوحظ وجود كسر صغيرة من الغليون العثماني، والكثير من الفخار المعروف باسم (Elephant handle) في الطبقة الأحدث وهي الطبقة السطحية وهذا يدل على أن تقنية صناعة الفخار في العصر المملوكي وبداية العصر العثماني كانت تقريباً متشابهة.

وهنا لا بد من الحديث عن دخول العثمانيين إلى منطقة بلاد الشام ثم منطقة مصر وإنهاء حكم المماليك كلياً عام ١٥١٧م بعد هزيمة آخر سلاطين المماليك طومان باي الذي أدى بدوره إلى وضع البلاد العربية تحت الحكم العثماني المباشر ولكن منطقة سوريا الجغرافية تمتعت بحكم ذاتي من خلال تعيين السلطان العثماني والياً عليها وهو الوالي جان بردي الغزالي ولكن بعد وفاة السلطان سليم الأول أعلن الغزالي انفصال بلاد الشام عن الباب العالي وهنا أرسل العثمانيون جيشاً لم يكن للغزالي قدرة على مواجهته فاستسلم وأعدم، وبالتالي أصبحت بلاد الشام تحت إدارة الولاية العثمانية وتبعت مباشرة للباب العالي. بعد السيطرة العثمانية على بلاد الشام أعيد تقسيم بلاد الشام إلى مناطق ثلاث تعرف باسم السناجق أو الولايات؛ وهي ولاية دمشق وحلب وطرابلس، حيث تبعت شرقي الأردن لولاية دمشق وقد حكم العثمانيون شرقي الأردن اسمياً ولم يكن لهم اهتمام إلا بقافلة الحج الشامي التي كانت تعبر الأراضي الأردنية حينها.

وهنا يمكن القول أن موقع أم زويتينة وغيرها من المواقع التي توجد في منطقة عمان الحالية وما يعرف بمنطقة البلقاء تاريخياً قد هُجرت من السكان بشكل تدريجي بناءً على ظروف وأحداث سياسية جاءت مع نهاية الفترة المملوكية وبداية العصر العثماني، أدت هذه الأحداث إلى تراجع في عدد السكان ثم إلى هجر للمنطقة بأكملها، ومن المعتقد أيضاً حدوث تغير ديموغرافي للسكان أدى إلى الاستغناء عن حياة الاستقرار والتحول إلى حياة البداوة وذلك بسبب انهيار النظام الأمني، ولجأ السكان حينها إلى التنظيم القبلي

والذي هو في الحقيقة تنظيم عسكري يساعد على توفير حماية أكبر لأفراد القبيلة وكذلك يوفر قدرة وسهولة في التنقل أي قدرة على الكر والفر. وهنا نتساءل هل كان لتلك الفترة تأثير على تكوينات المجتمع العشائري الأردني الحالي؟

كذلك التراجع الذي شهدته منطقة عمان البلقاء مع نهاية العصر المملوكي ودخول الدولة المملوكية في صراع مع الدولة العثمانية الناشئة في بداية القرن السادس عشر كان له أكبر الأثر على هجر السكان للمنطقة. هنا يجب أن نتساءل كيف حدثت هذه الهجرة؟ وإلى أين؟ وهل كان لهذه الظروف السياسية دور في سيطرة العشائر البدوية على المنطقة وتحول السكان إلى النمط غير المستقر (البداوة) للحفاظ على التكوينات الاجتماعية التي كانت سائدة قبل الانهيار الأمني والصراعات السياسية؟

وبالعودة إلى بعض أسماء العائلات لبعض الدارسين والمنتسبين لمدرسة حسبان المملوكية يمكن القول أن هذه الأسماء تشكل عدداً كبيراً من أسماء العشائر الأردنية الحالية وهذا يدعم الاعتقاد بالتحول السكاني للنمط البدوي وهذا لا يمنع كذلك الحديث عن دخول بعض العشائر من شمال الجزيرة العربية والاستقرار في منطقة شرق الأردن خلال الفترة العثمانية (غوانمة ١٩٧٩).

كذلك إن هجر السكان لهذه المنطقة ليس الأول حيث شهدت المنطقة هجراً في الاستيطان خلال نهاية العصر العباسي.

المراجع

البخيت، محمد عدنان

١٩٧٦ **مملكة الكرك في العهد المملوكي**. المملكة الأردنية الهاشمية.

البخيت، محمد عدنان ومرزوق، محمد يونس

١٩٩٢ **بحوث في تاريخ بلاد الشام في العصر العثماني**. عمان، مطبعة الجامعة الأردنية

الحسو، أحمد عبدالله

٢٠٠٤ **تاريخ الكرك عبر العصور الإسلامية**. عمان، منشورات وزارة الثقافة.

غوانمة، يوسف درويش

١٩٧٩ **تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى (القسم الحضاري)**. عمان، وزارة الثقافة والشباب.

١٩٧٩ **تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى (القسم السياسي)**. عمان، وزارة الثقافة والشباب.

المومني، سعد

١٩٨٨ **القلاع الإسلامية في الأردن (الفترة الأيوبية المملوكية)**. عمان، دار البشير للنشر والتوزيع.

نصير، ركاد

٢٠١٠ **المعاني اللغوية لأسماء المدن والقرى وأحواضها في المملكة الأردنية الهاشمية**. عمان، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.

الأنباط والبترا في المصادر العربية

أحمد أسعد لاش

Abstract

Most scholars agree that there is a lack of information about Petra and the Nabataeans in the Arabic sources, particularly in the early Islamic sources where Petra is not mentioned. However, this article shows that in the period between the diminishing of the Petra dominance in the region in the 4th, 5th and 6th centuries and the earliest Islamic historians in the 8th century, Petra had no ruler worthy of mention in the major battles of the Islamic conquests in the second quarter of the 7th century. However, Nabataeans were well known in many of Arabic sources by the name Nabaṭ and Annbaṭ. The Greek name for Petra was not used but its Nabataean name, Raqmu or ar-Raqeem was well known to the Arabs as a small city carved in rock as one unit, located not so far from Palestine and close to Ayla (Aqaba). The Holy Qur'an mentions many places in the Arabic peninsula, Mesopotamia, Egypt and in the Levant including ar-Raqeem in surat al-Kahf as a place where the miracle of the seven sleepers took place.

بدايةً لابد لي أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأساتذة د. فوزي زيادين ود. غازي بيشه ود. خيرية عمرو لتفضلهم بقراءة مسودة هذا المقال وتقديم ملاحظاتهم القيمة التي استفدت منها استفادة جمّة في هذا البحث.

منذ أن قام الرحالة السويسري بيركهارت بإعادة اكتشاف البترا سنة ١٨١٢ وتقديمها للعالم، لم تتوقف أعمال البحث العلمي والتنقيب الأثري في تلك المدينة حتى يومنا هذا، فقد عمل الباحثون والمؤرخون العرب والأجانب جاهدين لسبر أغوار التاريخ والبحث بكل ما يختص بحضارة البترا والأنباط وتاريخهم وامتداد دولتهم التي غطّت مساحة كبيرة من المشرق، امتدت في أوجها من دمشق وحتى شمال الجزيرة العربية وصولاً إلى سيناء غرباً، فكانوا أسياد التجارة في العالم القديم منذ القرن الأول قبل الميلاد وحتى بدايات القرن الثاني الميلادي، وبالرغم من خضوع دولتهم للسيطرة الرومانية سنة ١٠٦ للميلاد (Frösén *et al.* 2002) إلا أن حضارة البترا استمرت لقرون عديدة بعد ذلك، وقد كان للزلزال الذي ضرب المنطقة سنة ٣٦٣ للميلاد أثره المدمّر على البترا (Frösén *et al.* 2002)، وإن كانت الشواهد الأثرية المكتشفة مؤخراً أثبتت وجود استمرار للاستيطان البشري في البترا بعد هذا الزلزال استمرت حتى القرن السادس الميلادي وإن كان بصورة أقل، وقد اتخذ شكلاً مختلفاً من النشاط السكاني الذي يبدو أنه أصبح يركز أكثر على الجانب الزراعي على حساب النشاط التجاري (Amr 2011: 305-313) فشهدت تلك الفترة توسعاً سكانياً خارج حدود مدينة البترا بحثاً عن مساحات أكثر ملائمة للنشاط الزراعي.

وخلال القرنين السابقين عمل الباحثون والمؤرخون على توثيق كل ما يتعلق بالبترا والأنباط من ذكر أو إشارة في المصادر التاريخية سواءً المصادر الأشورية أو الفارسية أو اليونانية أو الرومانية، وقد نُشرت العديد من الأبحاث و الكتب في هذا المجال، وكان الإستفسار الدائم هو لماذا لم يتوفر في المصادر العربية الإسلامية المبكرة ذكر عن البترا؟ علماً أن الاكتشافات الأثرية المتأخرة «كما أشرنا سابقاً» أثبتت استمرار الوجود السكاني في البترا حتى القرن السادس الميلادي كما في كنيسة البترا (Amr 2011: 305-313)، أي في الفترة التي شهدت بها قريش أوج نشاطها التجاري بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها والتي ظهر بها ما يعرف بالإيلاف الذي أسسته قريش كنظام للتنقل الآمن للقوافل التجارية المارّة بالجزيرة العربية، وتلك ليست بالفترة الزمنية الكبيرة التي تفصلها عن البعثة النبوية الشريفة في حوالي ٦١٠ ميلادي. فنجد في المصادر الإسلامية المبكرة ذكراً لتاريخ العرب وقبائلهم وأنسابهم وآلهتهم وعباداتهم ابتداءً من اليمن في جنوب الجزيرة العربية وصولاً إلى تدمر في البادية السورية، في حين يشير الباحثون إلى غياب ذكر البترا في تلك المصادر العربية وهي الملاصقة لبلادهم في شمال الجزيرة

العربية. وهذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال هذا البحث.

وقبل الخوض في غمار هذا البحث لابد أن نشير إلى أن المصادر العربية التاريخية التي أرّخت لبدايات الفترة الإسلامية ولما سبقها من التاريخ العربي قد ابتدأت في القرن الثاني الهجري والذي يعتبر محمد بن إسحق أهم مؤرخيه والذي اختص (كغيره من المؤرخين) في توثيق السيرة النبوية الشريفة وما تلاها من أحداث إلى أن يصل للزمان الذي عاش فيه، ويعتبر ابن اسحق صاحب كتاب (سيرة رسول الله) هو شيخ المؤرخيّن العرب وأقدمهم، وإن سبقه بعض من كتب في التاريخ في القرن الأول الهجري كسليم بن قيس الهلالي وعبيد بن شربه وعلاقة بن كرشم، إلا أن ابن إسحق يعتبر المرجع الرئيسي لمن عاصره ولمن جاء بعده من المؤرخين، وهو الذي ولد سنة ٨٥ للهجرة /٧٠٣م وتوفي سنة ١٥١ للهجرة /٧٦٨م، إلا أن كتابه هذا قد فُقد ولم يصلنا منه إلا ما هذّبه ولخّصه عبدالملك بن هشام والمعروف بابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هجري/٨٣٣م صاحب ما يعرف بسيرة ابن هشام، وباستعراض بسيط لأبرز المؤرخين الأوائل للتاريخ العربي الإسلامي نذكر:

هشام بن محمد الكلبي والمعروف بالكلبي والمولود سنة ١١٠هجري /٧٢٨م والمتوفى سنة ٢٠٤ هجري /٨١٩م، كذلك محمد بن عمر الواقدي المولود سنة١٣٠ هجري /٧٤٧م والمتوفى سنة ٢٠٧ هجري /٨٢٣م، ومحمد بن على المدائني المولود سنة ١٣٥ هجري /٧٥٢م والمتوفى سنة ٢٢٥ هجري /٨٤٠م، ومحمد بن سعد صاحب كتاب الطبقات الكبرى والمتوفى سنة ٢٣٠ هجري /٨٤٥م، وخليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠ هجري /٨٥٤م ، واحمد بن اسحق اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤ هجري /٨٩٧م واحمد بن يحيى البلاذري المتوفى سنة ٢٩٧هجري /٩١٠م، ومحمد بن جرير الطبري المؤرّخ الأشهر في التاريخ العربي الإسلامي والمولود سنة ٢٢٤هجري /٨٣٩م والمتوفى سنة ٣١٠هجري /٩٢٣م.

هؤلاء بشكل موجز أهم من كتب ووثق التاريخ العربي الإسلامي في بداياته، ومن جاء منهم لاحقاً أخذ ممن سبقه وأضاف عليه ولكل منهم طريقته في تحرّي الدقة وتحقيق الرواية والسند حسب المعايير الخاصة به والتي كانت تختلف من شخص لآخر، فكان لتوثيق ما ورد من أخبار السيرة النبوية النصيب الأكبر من كتابات أوائل المؤرخين، حيث كان علم نقل الحديث في بداياته ومحاولة تتبع سند الرواية التي تخص السيرة النبوية قدر الإمكان وإن كانت الكثير من الأسانيد قد تم مراجعتها وتدقيقها في وقت لاحق عندما توسع علم الحديث وعلم الجرح والتعديل، أما فيما يختص بالتاريخ العربي قبل الإسلام فقد تناقلته الرواية الشفهية، والتي أخذت الطابع القصصي في بعض الأحيان وشابها بعض من عدم الدقة التي قد تصل إلى مرحلة الأساطير أحياناً أخرى (الحوت ١٩٥٥).

وبمتابعة بسيطة لأهم التواريخ الخاصة بالسيرة النبوية الشريفة نلاحظ أن مولد الرسول صلى الله عليه وسلّم كان بمكة المكرّمة في حدود سنة ٥٧١م وكانت بعثته في حدود سنة ٦١٠م، وهجرته سنة ٦٢٢م، ووفاته صلى الله عليه وسلم سنة ٦٣٢م، في حين أن أهم وأوائل الكتابات التاريخية التي تناولت التاريخ العربي الإسلامي قد ابتدأت كما أشرنا سابقاً في القرن الأول والثاني للهجرة أي بفترة قريبة نوعاً ما من الأحداث الرئيسية في التاريخ الإسلامي وهي بعثة الرسول الكريم وهجرته ووفاته ومرحلة الفتوحات الإسلامية المبكرة.

وبالعودة إلى المحور الرئيسي في بحثنا هذا وهو البترا والأنباط فنجد أن هذه الدولة العربية التي بلغت أوجها في القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي قد مرّت كما هو حال الكثير من الدول بمرحلة النشوء ثم القوّة والتمدد ثم الضعف والإضمحلال فالتلاشي، فكان خضوعها للسيطرة الرومانية سنة ١٠٦م من الأحداث الهامة على هذه الدولة العربية، إضافة إلى بروز دولة تدمر كقوة تجارية في المنطقة على حساب النفوذ النبطي، إلا أن الزلزال الذي ضرب المنطقة سنة ٣٦٣م كان له الأثر الأكبر فيما يبدو على حضارة البترا ليس فقط بتدمير بعض المنشآت المعمارية بل بتأثيره على النظام المائي الذي اشتهرت به البترا وكان اعتمادها عليه في تلك الصحراء القاحلة وتدميره للقنوات المائية في أجزاء واسعة من المدينة، إلا أن الدلائل الأثرية تشير إلى استمرار الوجود السكاني في المدينة حتى منتصف القرن السادس الميلادي ولو بصورة أقل إلا أن ما تبقى من الحضارة النبطية في البترا لم يستطع الصمود أمام ضربة زلزالية أخرى ضربت المنطقة سنة ٥٥١م (Niemi *et al.* 2009) والتي يبدو أنها قد أنهت ما تبقى من وجود مدني في مدينة البترا. وعند العودة إلى المصادر العربية الإسلامية من كتب السّير والمغازي والتي رصدت الأحداث الهامة في التاريخ الإسلامي وخاصةً ذكر المواقع والأماكن الجغرافية خلال الغزوات لا نجد ذكراً لمدينة البترا، فهذا هو الجيش الإسلامي يتحرك في السنة الثامنة للهجرة/٦٢٩م في غزوة مؤتة منطلقاً من المدينة المنورة نحو بلاد مؤاب متوقفاً في معان التي لا تبعد أكثر من ٤٠كم عن البترا دون أن يكون هنالك أي ذكر لمدينة البترا في كل كتب السيرة التي تناولت تلك الغزوة، وفي السنة التاسعة للهجرة/٦٣٠م ينطلق الرسول صلى الله عليه وسلّم في غزوة تبوك ويتوقف هو وأصحابه في منطقة الحجر (الطبري ٣: ١٠٥) قبل أن يبلغ تبوك «وهي المدينة النبطية المعروفة بمدائن صالح» ثم يكمل الجيش الإسلامي طريقه نحو تبوك تاركاً تلك البقعة الخالية من السكان، ولدى وصوله تبوك في شمال الجزيرة العربية يقيم بها بضع عشرة ليلة، حيث جاء يحنّة بن رؤبة صاحب آيلة إلى رسول الله وصالحه وأعطاه الجزية وكذلك صالح أهل جرباء وأذرح وأعطوا الجزية وكتب رسول الله لكلٍ كتاب، كما صالحه أكيدر دومة الجندل على الجزية (الطبري ٣: ١٠٩) وبالرغم من وقوع هذه الأحداث ضمن مناطق جغرافية قريبة من البترا إلا أن كل كتّاب التاريخ الذين تحدثوا عن هذه الغزوة لم يوردوا بها أي ذكر للبترا، مما يرجّح فرضية أن البترا في تلك الفترة كانت خالية أو شبه خالية من التواجد السكاني بصفته المدنية على الأقل. أما بالنسبة للفتوحات الإسلامية التي أعقبت وفاة الرسول الكريم في السنة ١١ للهجرة/٦٣٢م والتي انطلقت في بدايتها من المدينة المنورة باتجاه العراق وبلاد الشام، والتي أسهبت كتب السير في الحديث عنها من حيث التواريخ وقادة الجيوش والفِرَق وتحركاتها والأماكن التي مرّت

بها، وبالأخذ بعين الإعتبار أن شرق الأردن كان مسرحاً لأهم المعارك في الفتوحات الإسلامية وقد ذُكرت الكثير من المناطق به إلا أن البترا لا يوجد لها ذكر في أيٍّ من تلك الأحداث.

فإذا كانت تلك المصادر قد صمتت عن ذكر البترا، فهل صمتت أيضاً عن ذكر الأنباط؟

لا شك أن الأنباط هم من القبائل العربية (زيدان ١٩٢٢) ووجودهم في شمال الجزيرة العربية يعني إشتراكهم مع سكان شبه الجزيرة العربية في الثقافة واللغة والديانة، فالإله الرئيسي للأنباط (ذو الشرى) كان من الآلهة ذات المكانة في شبه الجزيرة العربية وقد صنفه سليم الحوت تحت باب آلهة الأماكن (الحوت ١٩٥٥)، ويذكر هشام الكلبي أنه كان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد صنمٌ يقال له ذو الشرى وله يقول أحد الغطاريف:

إذن لحللنا حول ما دون ذي الشرى وشجَّ العدى منا خميس عرمرم (الكلبي ١٩٢٤). وقد ذكرت الآلهة المشهورة في شبه الجزيرة العربية مثل مناة واللات وهبل في نقوش مدائن صالح النبطية (جوسن وسفنياك ١٩٩٧)، كما ورد اسم (اللات) بكثرة في نقوش وادي رم (زيادين وفارس ١٩٩٨) وفي نقوش البترا ظهرت اللات والعزّى بأسماء مختلفة (Starcky *et al.* 1976/68). فبالرغم من القرب الجغرافي والإشتراك الثقافي فإنه من الغريب أن يغيب ذكر البترا وملوك الأنباط في المصادر العربية المبكرة، في حين نجد بها ذكراً يكاد يكون تفصيلياً لتدمر وملوكها مثل أذينة ووهب اللات والملكة زنّوبيا التي عرفت بالمصادر العربية بإسم (الزبّاء) وحكمت مملكة تدمر خلال النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، فكيف لا تُغفل المصادر العربية الحديث عن تاريخ تلك الدولة التدمرية التي تقع على ضفاف الفرات والتي تقرب الفترة الزمنية الفاصلة بينها وبين أوائل المؤرخين العرب من الخمسة قرون، في حين نجدها صامتة عن البترا وتاريخها! قد يكون جواب ذلك هو ما نقله الطبري عن هشام الكلبي «أنه استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من بيّع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم كلها» (الطبري ١: ٦٢٨)، فمعظم ما تناقلته العرب عن التاريخ وأحداثه قبل الإسلام يدخل تحت بند التاريخ الشفهي غير المكتوب والذي قد يخالطه عدم الدقة في بعض الأمور والتهويل في بعضها الآخر، وقد يسقط ذكر أقوام بانتهاء كياناتهم، وهذا ما قد يكون حدث بالنسبة لذكر البترا والأنباط، خاصة إذا أخذنا بعين الإعتبار أن بداية التوثيق التاريخي في الحضارة الإسلامية العربية قد بدأت في القرن الثامن الميلادي أي بعد بداية أفول نجم دولة الأنباط وما لحق ذلك من تدهور لمكانة دولة الأنباط عقب زلزال ٣٦٣م، وما قد تكون شهدته المدينة من شبه خلو للتواجد المدني عقب زلزال ٥٥١م، فإننا نتحدث عن فجوة زمنية تمتد ما يقرب من القرنين على بداية التوثيق التاريخي وآخر مراحل التواجد النبطي المدني، أما بالنسبة لتدمر فيبدو أنها قد شهدت نوعاً من الإستمرار في التواجد السكاني – ولو ليس بالشكل الذي كانت عليه – حتى الفترات الإسلامية المبكرة. وبما أن العرب قد ورثوا الكثير من مصادر التاريخ الفارسي، ولعل احتضان الدولة العربية الإسلامية للكثير من العناصر الفارسية في جسمها ونشاط أعمال الترجمة من الفارسية إلى العربية قد أتاح الفرصة للتعرف على ما ورد في التاريخ الفارسي المكتوب والذي كانت أخبار تدمر جزء منه بشكلٍ أو بآخر وإن خالطها شيء من عدم الدقة، وهذا ما قد لا يكون قد توفّر عند الإشارة إلى البترا أو الأنباط، ولكن ألا يوجد ذكر للأنباط في المصادر العربية ؟

لقد تناول الكثير من الباحثين البحث في مسمى (النبط) وتاريخه وجذوره وما يعرف بنبط العراق أو نبط السواد ونبط الشام (زيدان ١٩٢٢) وهذا موضوع لا يتسع مجال بحثنا في الخوض فيه، أما لفظ (النبط) في اللغة العربية فيورده ابن منظور في كتابه لسان العرب انه «الماء الذي ينبط من قعر البئر إذا حفرت» «والنبط إنما سمُو نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين»، ومما لاشك فيه أن النظام المائي الذي استخدمه الأنباط هو من السمات المميزة في حضارتهم، كما يورد ابن منظور قولاً لعمر بن الخطاب «تمعددوا ولا تستنبطوا أي تشبهوا بمعد ولا تشبّهوا بالنبط» (ابن منظور ٢٠٠٣)، أما جورجي زيدان فيورد ما ذكره الأصفهاني أن «الأرمانيون نبط الشام والأردوانيون نبط العراق» (زيدان ١٩٢٢)، في حين يصف المقريزي النبط بأنهم «بقايا الصابئة» (المقريزي ١٠٥ :١)، أما محمد بن سعد صاحب كتاب الطبقات الكبرى والمتوفى سنة ٢٣٠ للهجرة/٨٤٥م فيذكر في الجزء الأول من كتابه الطبقات الكبرى، صفحة ٣١ أن هاشم والد جد الرسول محمد صلى الله عليه وسلّم التقى بزوجته سلمى بنت عمرو من بني النجار في سوق النبط وهو في طريقه إلى المدينة فتزوجها وأنجب منها ابنه شيبة والمعروف بعبد المطّلب، وهو جد الرسول الكريم الذي كفل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو طفل بعد وفاة والده عبدالله. وإذا حاولنا تتبع تأريخ هذه الحادثة فإننا نكون أقرب للعقد الأول من القرن السادس الميلادي، أي الفترة التي كانت ما تزال تشهد تواجداً نبطياً في البترا حسب ما دلّت عليه مكتشفات كنيسة البترا الأثرية (Frösén *et al.* 2002)، فهل كان الأنباط في تلك الفترة ما زالوا يمارسون أصناف التجارة ليكون لهم سوق بالقرب من المدينة يعرف بسوق النبط.

ولكن بالإضافة إلى كلمة «النبط» هل وردت كلمة «الأنباط» بالشكل الصريح في المصادر التاريخية العربية؟ يذكر ابن خلّكان في الجزء السادس من كتابه» وفيات الأعيان»، في الصفحة رقم ٣٠٤ ما يرويه على لسان الحسن البصري عندما عابَ خروج يزيد بن المهلب على بني أمية فاتهمه الناس أنه يناصر بني أمية فكان أن نفى ذلك وأنه لا يمكن أن يناصر بني أمية على حد قوله وهم الذين استحلوا المدينة المنورة «حتى أن الأقباط والأنباط ليدخلوا على نساء قريش فينزعون خمورهن عن رؤوسهن وخلاخلهن من أرجلهن وسيوفهم على عواتقهم»، وهذه الرواية ذكرها الطبري أيضاً على لسان الحسن البصري في الجزء السادس من تاريخه بما نصّه «أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلون أهلها ثلاثة أيام وثلاث ليالي، قد أباحوها لأنباطهم وأقباطهم يدخلوا على نساء قريش فينزعون خمورهن.....» (الطبري ١٩٦١: ٥٨٨).

كما يرد ذكر الأنباط في صحيح مسلم في الباب (٣٣) المعنون بالوعيد الشديد لمن عذّب الناس بغير حق، في حديث عن هشام بن حكيم بن حزام يحمل الرقم (٢٦١٣) حسب تصنيف مسلم ونص الحديث (عن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما أنه مرّ بالشام على أناس من الأنباط، قد أُقيموا في الشمس، وصُبّ على رؤوسهم الزيت، فقال ما هذا؟ قيل: يعذبون في الخراج، وفي رواية حبسوا في الجزية. فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: «إن الله يعذّب الذين يعذّبون الناس في الدنيا» فدخل على الأمير، فحدّثه، فأمر بهم فخلّوا) (مسلم ١٢١٠: ٢٠٠٦). كما ويورد الإمام النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هجرية، هذا الحديث في كتابه رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين تحت الرقم (١٦٠٦) ويُتبعه بعد أن يشير إلى أن الحديث رواه مسلم بعبارة («الأنباط» فلّاحون من العجم)، أمّا عند شرحه للحديث وتفصيله لكلمة الأنباط، فيقول: (ويقال فيهم النبط بفتح أوله، هم قوم من العرب، دخلوا في العجم والروم، واختلطت أنسابهم، وفسدت ألسنتهم، سمّوا بذلك لمعرفتهم بأنباط الماء واستخراجه، لكثرة معالجتهم الفلاحة). (النووي: ١٢١٠). وقد يكون هذا أفضل توصيف عن مفهوم الأنباط لدى المؤرخين العرب الأوائل، قد يوضّح ما التبس في بعض الكتابات العربية المبكرة عند تعريف الأنباط. وقد أيدت ذلك الإكتشافات الأثرية التي أوضحت مدى تأثر الأنباط بالحضارة اليونانية والرومانية من حيث طُرز البناء واستخدام الأسماء والأحرف وحتى في تحوير بعض أسماء الآلهة.

هذه بعض الأمثلة على ورود مصطلح النبط أو الأنباط في المصادر العربية التاريخية، مما يؤكد لنا أن الأنباط ليسوا بالأغراب أو المجهولين عن المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية بغض النظر عن الإختلافات والتشعبات بين المؤرخين على توصيف وتعريف كل من أطلق عليه لفظ النبط أو الأنباط، ولكن ماذا عن ذكر البترا كمدينة أو كموقع في المصادر العربية؟ لقد أثبتت التنقيبات الأثرية في منطقة البترا وجود دلائل استيطان سكاني في مواقع متعددة خلال معظم الفترات الإسلامية وإن كانت نسبة ذلك الإستيطان متفاوته من فترة إلى أخرى والتي غلب عليها الطابع الزراعي في بعض الفترات مثل مواقع الطيبة والنوافلة والصدقة (Amr 2011: 305-313) وكذلك موقع البيضا (Sinibaldi 2011)، ومما لاشك فيه أن البترا قد شهدت مرحلة نزاع للسيطرة عليها في العصور الإسلامية المتوسطة «الفترة الأيوبية والفترة المملوكية» حيث عمل الفرنجة على اتخاذ بعض المواقع الاستراتيجية بها كقلاع عسكرية لهم لإتمام السيطرة على جنوب الأردن وهي التي تبعد حوالي ٣٠ كم من قلعة الشوبك، فظهرت بها القلاع الصليبية مثل قلعة الوعيرة وقلعة الحبيس (Vannini 2011) والتي لم يمض وقت حتى حررتها منهم جيوش صلاح الدين الأيوبي، حيث يذكر المقريزي في الجزء الأول من كتابه «السلوك لمعرفة دول الملوك» (المقريزي ١٩٩٧: ٢١٤) عند حديثه عن أحداث سنة ٥٨٤ للهجرة أن صلاح الدين قد بعث الأمير سعد الدين كمبشه الأسدي محاصراً الكرك والشوبك وسلع حتى تسلّمها مع عدة حصون هناك في رمضان. كما كانت البترا معروفة في الفترة المملوكية حيث زارها الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٤ للهجرة/١٢٧٦م وهو في طريقه إلى الكرك ومرّ بقبر النبي هارون وأبدى إعجابه بها، وقد أورد شهاب الدين النويري هذا الخبر في الجزء الثامن والثلاثون من كتابه «نهاية الأرب في فنون الأدب» في الصفحة ٩، كما أوردها يوسف غوانمه في كتابه «التاريخ السياسي لشرق الأردن في العصر المملوكي» (غوانمة ١٩٨٢: ٦٩). كما أورد هذه الزيارة بالتفصيل الدكتور فوزي زيادين في مقال له (Zayadin.1982)

ولكن هل ورد اسم البترا كاسم مكان أو مدينة في المصادر الإسلامية المبكرة؟

في الواقع يرد إسم البتراء في المصادر العربية القديمة كإسم مكان، فيذكر عبدالله البكري في من كتابه «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» عند ذكر مساجد الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابن اسحق ما نصّه «ومسجد بطرف البتراء من ذنب كواكب» (البكري ١٩٨٣: ٦٦)، كما يذكر الطبري في الجزء الثاني من تاريخه اسم (البتراء) كمكان مرّ به الرسول الكريم سنة ست للهجرة في طريق غزوته لبني لحيان بالقرب من المدينة المنورة (الطبري ١٩٦١: ٥٩٥)، وهي نفس الرواية التي ذكرها ابن هشام في الجزء الثاني من سيرته (ابن هشام ١٨٧٨: ١٦٤)، إلا أن وصف المكان وجغرافيته لا ينطبق على مدينة البترا المعروفة لدينا والتي تبعد عن هذا المكان مئات الأميال.

ومن الغريب أن لا نجد ذكراً لمدينة البترا الأثرية في المصادر العربية المبكرة والتي تحدثت عن تاريخ العرب وأسهبت في الوصف وذكر الأخبار فهل من المعقول أنهم كانوا يجهلون وجود هذه المدينة المميزة المنحوتة في الصخر والواقعة على حدودهم الشمالية والتي كانوا تحت سيطرتها في زمن من الأزمان، هل فعلاً غابت عنهم أخبارها حتى بعد أن أصبحت أطلالاً، وهم الذين يعبرون البلدان طولاً وعرضاً بتجارتهم ولا يخفى عليهم مكان في بلاد الروم وفارس والحبشة وافريقيا، فكيف يخفى عليهم مدينة منحوتة بالصخر مجاورة لهم، وكيف تكون مدينة الحجر معروفة لديهم في حين تَخفى عليهم مدينة مثل البترا والتي تُعتبر الحجر جزءً من حضارتها.

في الحقيقة قد يكون من الصعب جداً أن تجد اسم البترا في المصادر العربية الإسلامية المبكرة، فالبترا كما هو معروف مصطلح يوناني يعني الصخر (زيدان ١٩٢٢) وقد أطلقه اليونان على البترا بناءً على لغتهم اليونانية وأعاد إحياءه بيركهارت عندما أعاد إكتشاف البترا سنة ١٨١٢ بناءً على المصادر اليونانية واللاتينية التي اعتمد عليها، ونحن الآن نستخدام هذا الاسم بشكل عفوي، فهذا المصطلح إذن لم يطلقه الأنباط على مدينتهم وبالتالي لم يستخدموه، فهم كعرب سيستخدمون الاسم الذي أطلقوه هم على مدينتهم وحسب لغتهم وهو نفس الاسم الذي يستخدمه بني جلدتهم من القبائل العربية الأخرى وبالذات في شبه الجزيرة العربية، والأمثلة على ذلك كثيرة فعمّان أو ربة عمون التي بقية لمئات السنين تسمى بالاسم اليوناني فيلادلفيا لم يتقبل أهلها من العرب أو إخوانهم في المنطقة والجزيرة العربية ذلك الإسم وظلّوا يطلقون عليها إسم عمّان

دون أن يكترثوا لما يطلق الغريب عليها من أسماء، حتى أنها وردت بأحد الأحاديث النبوية الشريفة بإسم عمّان. إذن ماذا كان الاسم الأصلي أو النبطي للبترا؟ لقد ذهب البعض للقول بأن الاسم الأصلي للبترا هو السلع بناءً على ما أورده ياقوت الحموي في الجزء الثاني من معجم البلدان بأن السلع تعني «شقوق في الجبال واحدها سَلع وسِلع، وسلع حصن بوادي موسى بقرب بيت المقدس» (الحموي ١٩٥٧: ١٥٢٢). في الحقيقة أن موقع السلع معروف لدينا وهو في محافظة الطفيلة ومن المواقع المميزة الذي يشتهر بقلعته التي تحتوي على المسلة البابلية، كما أنه يوجد الكثير من المواقع التي يطلق عليها السلع في شبه الجزيرة العربية نظراً لأن هذا الاسم هو وصف لطبيعة جغرافية. لكن الاسم النبطي الأصلي الذي عرف به الأنباط مدينتهم من الطبيعي أن يكون مشار إليه في نقوشهم النبطية في مدينتهم، فكما توجد نقوش تشير إلى أسماء أشخاصهم وملوكهم وآلهتهم فمن الطبيعي أن يكون هنالك نقوش تذكر اسم مدينتهم، ولقد كانت الفرصة سانحة للكشف عن أحد هذه النقوش عندما تعرضت مدينة البترا في شتاء ١٩٦٤ لكمية كبيرة من الأمطار شكّلت سيلاً كبيراً عند مدخل السيق ليكشف عن أحد هذه النقوش النبطية والذي قام بقراءته عالم الآثار الفرنسي جون ستاركي وقام بنشره في حولية دائرة الآثار العامة (Starcky 1965: 43-49)، والذي يظهر نصّه بوضوح حيث تشير الكتابة إلى الاسم القديم للبترا وهو (ر ق م و) (رقمو) حيث يتحدث النقش عن شخص يدعى تيمو والذي كتب ذلك النقش تكريماً لإبنه بالتبني (أو خادمه) بيترايوس من رقمو والذي مات ودفن في جرشو. ويؤرّخ ستاركي هذا النقش للفترة بين سنة ٥٠-١٠٠م. وقد ساعدني في قراءة هذا النقش والمقالات المنشورة عنه باللغة الفرنسية الدكتور كريستيان أوجيه مشكوراً. وقد اتفق مع ستاركي في قراءته وترجمته لهذا النقش معظم علماء الآثار بما فيهم الدكتور فوزي زيادين وبالذات فيما يتعلق بالاسم النبطي للبترا وهو (رقمو) أما اسم المكان الثاني وهو (جرشو) فيرجّح ستاركي بأنه مدينة جرش في حين يرجّح فوزي زيادين بأنه في شمال الجزيرة العربية قرب الحدود الأردنية.

فهل ورد إسم (رقمو) أو ما يقابله في لهجات شبه الجزيرة العربية وهو (رقيم) في المصارد العربية الإسلامية؟ يورد الإصطخري في كتابه المسالك والممالك أن «الرقيم» مدينة بقرب البلقاء وهي صغيرة منحوتة بيوتها وجدرانها بالصخر كأنها حجر واحد» (الإصطخري ١٩٣٧: ٦٤). والقرآن الكريم الذي أنزله الله بلسانٍ عربي مبين لهداية الناس وعبادة الله الواحد الأحد بدلاً عن الآلهة الكثيرة التي كانت تُعبَد من دونه وخاصةً لدى العرب، عمل على ترهيب العرب وترغيبهم ومخاطبتهم بلسانهم وتذكيرهم بأقوام معروفة لديهم وذكر ما آل إليه حالهم كقوم عادٍ وثمود وذكر لهم أسماءً مناطق يعرفونها كالحِجر ومدين وسبأ وبابل وسيناء وغيرها فهل ورد به اسم الرقيم؟ عند العودة إلى القرآن الكريم نجد أنه يرد اسم الرقيم في الآية رقم (٩) من سورة الكهف (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من أياتنا عجبا) والتي تبدأ بها قصة أصحاب الكهف، هؤلاء الفتية المؤمنون والذين يجمع المفسرون أنهم كانوا على دين عيسى عليه السلام وقد فرّوا من بطش قومهم وإختبؤوا في أحد الكهوف، فكان أن ضرب الله على آذانهم وأنامهم ثلاثماية وتسع سنين ثم أفاقهم ليكونوا آيةً لمن بعدهم، ليجدوا أن الأجيال التي كانت تحاربهم وتكفر بالله وتعبد آلهةً غيره قد ذهبت وبادت وجاء من بعدهم قومٌ يؤمنون بالله، وقد نزلت بهم سورة كاملة في القرآن الكريم وهي سورة الكهف، التي حثّ الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على قراءتها كل يوم جمعة. أما في البحث عن معنى الرقيم فيورد الطبري في تفسيره لسورة الكهف عن ابن عباس أن الرقيم «وادٍ بين عسفان وآيلة دون فلسطين وهو قريب من آيلة» (الطبري ٢٠٠٠)، وقد أورد هذا أيضاً ابن كثير في تفسيره (ابن كثير ١٩٨٢). وآيلة كما نعلم هو اسم مدينة العقبة الحالية والتي تبعد عن مدينة البترا حوالي ١٠٠كم. كما يورد الطبري عدة أقوال في تفسير الرقيم فيذكر الطبري عن قتادة أن الرقيم هو «الوادي الذي به أصحاب الكهف» كما يذكر عن ابن عباس قوله عن الرقيم «يزعم كعب أنها القرية» ويذكر عن الضّحاك أيضاً قوله «أما الكهف فهو غار الوادي والرقيم اسم الوادي»، وهذه الأقوال هي ما ذهب إليها معظم المفسرون.

وفي نهاية السرد القرآني لقصة أصحاب الكهف يذكر القرآن الكريم ما اجتمع عليه أهل ذلك الزمان بعد أن اكتشفوا مكان أصحاب أهل الكهف وعرفوا ما لهم من فضل وكرامة وبعد وفاة هؤلاء الفتية، فقد أجمع الذين غلبوا على أمرهم أن يتم بناء مسجد عليهم، وهذا ما أخبر به القرآن الكريم في الآية رقم (٢١) من سورة الكهف (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً). ولفظ المسجد ليس بالغريب عن اللغة النبطية فقد ظهر في النقوش النبطية في منطقة الحجر أو ما يعرف بمدائن صالح (جوسين وسفينياك ١٩٩٧: ٢١١، اللوحة ٣٩).

فهل تكون البترا أو ما كان يعرف بالرقيم في ذلك الوقت، هي المكان المقصود بالنصّ القرآني، وهل الكهف الذي حدثت به معجزة هؤلاء الفتية هو أحد الكهوف الموجودة في منطقة البترا أو القريبة منها؟ فحسب الوصف القرآني يبدو أنه ليس بالبعيد عن التجمعات السكنية حيث كان يوجد قوم هؤلاء الفتية، ولهذا فقد طلبوا من أحدهم عندما أفاقوا أن يذهب ليشتري لهم الطعام دون أن يلحظه أهل المدينة حتى لا يعيدوهم في ملّتهم كما هو مذكور في الآيات ١٩و ٢٠ من سورة الكهف، إذن هم لم يذهبوا إلى منطقة أخرى بعيدة عن مدينتهم، قد تكون هذه النقطة جديرة بمزيد من البحث والتقصي، فهذه المعجزة تحظى بالإهتمام من أتباع الديانة المسيحية كما هو حالها بالنسبة لأتباع الديانة الإسلامية، وإن كان هنالك بعض الإختلاف في التفاصيل المتعلقة بهذه المعجزة، خاصةً أن مكان حدوثها كان محل جدل واختلاف بين كتّاب التاريخ عبر العديد من القرون، مع الأخذ بعين الإعتبار أن أعمال التنقيب التي قامت بها دائرة الآثار العامة برئاسة الدكتور رفيق الدجاني في منطقة ابوعلندا في عمان والتي تم اعتماد كهف الرجيب بأنه هو الكهف الذي حدثت به تلك المعجزة، كانت سنة ١٩٦٣ (الدجاني ١٩٦٤) أي قبل عام من اكتشاف النقش النبطي عند مدخل السيق (Starcky 1965).

في النهاية أودّ أن أشير إلى أن هذا بحث موجز اجتهدت به ما

استطعت لأتتبّع فيما إذا ورد ذكر أو إشارة عن البترا أو الأنباط في المصادر العربية التاريخية بصورة أو بأخرى وقد يكون جانبني الصواب في جانب وحالفني في جانب، ولكنني أريد أن أشير إلى أنه إذا جانبني الصواب فهو من عند نفسي وإن أصبت فهو بتوفيق من الله عز وجل. وأترك الحكم على ما ورد في هذا البحث للقارئ الكريم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأزرقي، محمد بن عبدالله

٢٠٠٣ **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**. تحقيق عبدالملك بن عبدالله، مكتبة الأسدي.

الإصطخري، ابراهيم بن محمد

١٩٣٧ **المسالك الممالك**. مطبعة بريل. ليدن.

الأفغاني، سعيد

١٩٩٣ **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**. الطبعة الرابعة، دمشق.

ابن خلّكان، احمد بن محمد

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت.

ابن سعد، محمد

١٢٢١ **هجري الطبقات الكبرى**. تحقيق إدوارد سحو. مطبعة بريل، ليدن.

ابن كثير، عماد الدين

١٩٨٢ **تفسير القران العظيم**. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

ابن منظور، محمد بن مكرم

٢٠٠٣ **لسان العرب**. دار صادر، لبنان.

ابن هشام، عبدالملك

١٨٧٨ **السيرة النبوية**. مطبعة بولاق، القاهرة.

البكري، عبدالله

١٩٨٣ **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع**. تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.

الحموي، ياقوت

١٩٥٧ **معجم البلدان**، الجزء الثالث. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

الحوت، محمود سليم

١٩٥٥ **في طريق الميثولوجيا عند العرب**.

الدجاني، رفيق

١٩٦٤ **اكتشاف كهف أهل الكهف**. مؤسسة المعارف، بيروت.

زيدان، جورجي

١٩٢٢ **العرب قبل الإسلام**/ الطبعة الثانية، مطبعة الهلال، القاهرة.

الطبري، محمد بن جرير

٢٠٠٠ **جامع البيان في تأويل القرآن**. تحقيق احمد محمد شاكر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١٩٦١ **تاريخ الرسل والملوك**. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. دار المعارف، مصر.

غوانمة، درويش

١٩٨٢ **التاريخ السياسي لشرق الأردن في العصر المملوكي**. دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.

الكلبي، هشام بن محمد

١٩٢٤ **الأصنام**. تحقيق أحمد زكي باشا، الطبعة الثانية. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

المقريزي، احمد بن علي

١٩٩٧ **السلوك لمعرفة دول الملوك**. تحقيق محمد عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت.

النويري. شهاب الدين

نهاية الأرب في فنون الأدب. مكتبة المحاكم الشرعية السنية، لبنان.

النووي، يحيى

رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. المكتبة العصرية، بيروت.

النيسابوري، مسلم

٢٠٠٦ **صحيح مسلم**. تحقيق. نظر بن محمد الفاريابي. دار طيبة.

الهمداني، الحسن بن أحمد

١٨٨١ **صفة جزيرة العرب**. مطبعة بريل، ليدن.

Bibliography

Amr, K. and al-Momani, A

2011 *Villages of the Early Islamic Periods in the Petra Region*. Le Proche- Orient de Justinien aux Abbassides Bibliothéque de L'antiquité tradive 19. Paris.

Frosén, J. *et al.*

2002 The Petra Papyri. Vol (I). *ACOR*.

Niemi,.T. *et al.*

2009 Evidence of Nabataean occupation at Qasr at-Tilah. *ADAJ* 53: 108-113.

Sinibaldi, M. and Tuttle, C.

2011 The Brown University Petra Archaeological Project: 2010 Excavation at Islamic Bayda. *ADAJ* 55: 431-450.

Starcky, J.

1965 Nouvelles Steles Funeraires A Petra. *ADAJ* 10: 43-49.

Starcky,J. *et al.*

1967/68 The Temenos Inscriptions. *ADAJ* 12/13: 30-49.

Zayadine, F. and Fares, S.

1998 Tow North-Arabian Inscriptions from the Temple of Lat at Wadi Iram. *ADAJ* 42: 255-258.

Zayadine, F.

1982 Caravan Routes Between Egypt and Nabataea and the Voyage of Sultan Baibars to Petra in 1276. *SHAJ II*: 159-174.